أثر القراءات
في
خدمة الدراسات اللغوية والشرعية
السهيلي (٥٠٨-٥٨١ هـ) نموذجا :
عرض ومناقشة

إعداد
أ. د/ مصطفى أحمد محمد إسماعيل
أستاذ أصول اللغة المساعد بكلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

١٤٤١ هـ = ٢٠١٩م

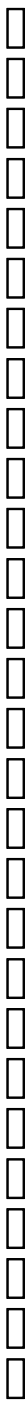

عنوان البحث "	أثر القراءات في خدمة الدراسات اللغوية والشرعية السهيلي (٥٠٨، ٥٨١هـ) نموذجا : عرض ومناقشة
اسم الباحث	مصطفى أحمد محمد إسماعيل
الإيميل الجامعي :	mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg
التوصيف الأكاديمي :	أستاذ مساعد بقسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية بالمنوفية
الكلمات المفتاحية :	القراءات - الدراسات اللغوية - الدراسات الشرعية - السهيلي

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد ﷺ وبعد:

يحاول البحث أن يلقي الضوء علىٰ جهد عالم من علماء القرن السادس الهجري في الأندلس، كان عالما بالقراءات واللغات، جامعا بين الرواية والدرية، وكيف كان يوظف القراءات لغويا في تأصيل وبيان الألفاظ الواردة في السيرة النبوية من خلال مؤلفاته (الروض الأنف، والأمالي، ونتائج الفِكَر، وغوامض الأسماء المبهمة) وذلك بعد تقسيم البحث إلىٰ ثلاثة مباحث تجمع بين الاحتجاج للقراءات والاحتجاج بها، وأثرها في علوم الشريعة، وغير ذلك من المسائل.

واللهَ أسأل السداد في القول والعمل، وصلىٰ اللهم وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

search title Linguistic recruiting for Quranic
name Dr. Mostafa Ahmad Muhammad Ismael,
College email: mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg
Academic profile: Assistant Professor, Department of Philology,

Key words Linguistic recruiting - Abu al-Qasim al-Suhaili

Abstract

The research tries to shed light on the efforts of a scientist of the sixth century HIJRI in Andalusia, who was well versed in reading and in languages, combining novel and novel, and how he used to use readings linguistically in the eulogy of the words in the biography of the prophet through his writings (The Dance of the Nose, Hopes, the results of thought, and the ambiguities of vague names), after dividing the research into three investigations, combining protest against the protesting of reading Sharia and other issues.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد .....

فإنّ الله ـ عز وجل ـ أنزل القرآن الكريم هداية للناس، وجعل فيه فوزهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩] ودعانا لتدبر آياته، فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩]، فامتثل الصحب الكرام هذا التدبر، حتىٰ قال عَبْدُ اللهِ بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ، فَإِنَّ فِيهِ عَلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»(١)، قَالَ شَمِرٌ(ت٢٥٥ هـ): تَثْوِيرُ الْقُرْآنِ قِرَاءَتُهُ وَمُفَاتَشَةُ الْعُلَمَاءِ بِهِ(٢).

ولذلك عُنِيَ العلماء بدراسة القرآن الكريم وقراءاته ـ متواترة وشاذة ـ ووظّفوا ذلك لفهم علوم الشريعة الغراء، فـ "الْعَارِفُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْحَافِظُ لَهَا، لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ وَلَا يَعْرِف إلَّا قِرَاءَةً وَاحِدَةً" (٣)، ولم يقتصر ذلك علىٰ علماء القراءات، بل كان لغيرهم من الذين شاركوا في الحركة العلمية جهد لا يُنكر، ولا ينسىٰ، ويجب أن يذكر، ومن هؤلاء

(١) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٣٦/ ٨٦٦٦) ، وسلسلة الآثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين (١/ ١٥١/ ١٤٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٤٦.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١٣/ ٤٠٤.

الأعلام الذين وظفوا القراءات في علوم الشريعة والعقيدة والتفسير والحديث والسيرة النبوية عبد الرحمن السهيلي[1] (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ)، الذي ترجم له علماء العربية فقالوا عنه: "فاضل كبير القدر في علم العربية، كثير الاطلاع علىٰ هذا الشأن.... ، وتصنيفه في شرح سيرة ابن هشام يدل علىٰ فضله ونبله وعظمته وسعة علمه" [2]، "له حظ وافر من العلم والأدب، أخذ الناس عنه وانتفعوا به"[3]،"إمام اللغة والنحو، وصاحب الاختراعات والاستنباطات، مع فطانة فائقة وشهامة زائدة [4]. "النَّحْويّ، الحافظ، صاحب المصنَّفات، أَخَذَ القراءات عَنْ سُلَيْمَان بْن يَحْيَىٰ[5]، وبعضها عَنْ أَبِي علي مَنْصُور بْن الخيّر[6].... وكان عالمًا بالقراءات، واللُّغات،

(١) السهيلي: بضم السين المهملة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام، هذه النسبة إلىٰ سهيل، وهي قرية بالقرب من مالقة، سميت باسم الكوكب لأنه لا يرىٰ في جميع بلاد الأندلس إلا من جبل مطلٍ عليها (وفيات الأعيان ٣/ ١٤٤).

(٢) إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة ٢/ ١٦٢.

(٣) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ١/ ٤٨٠.

(٤) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص١٨١.

(٥) سليمان بن يحيىٰ بن سعيد بن داود أبو داود القرطبي المعافري مقرئ كامل مصدر، أخذ القراءة عن أبي داود وابن الدش وابن البياز وأبي الحسن الحصري وابن مفرج وكان يعرف بأبي داود الصغير، أخذ القراءات عنه أبو بكر بن خير وعبد المنعم بن الخلوف والحسن بن الضحاك وأبو القاسم القنطري وأبو زيد السهيلي، مات بعد الأربعين وخمسمائة. (غاية النهاية ١/ ٣١٧).

(٦) منصور بن الخير بن يعقوب بن يملا المغراوي المالقي (ت : ٥٢٦هـ) المعروف بالأحدب العلم الأستاذ، مقرئ كبير وعالم شهير، قرأ علىٰ الشريف موسىٰ بن الحسين بن إسماعيل المعدل ، وأبي عبد الله بن شريح وأبي معشر الطبري، قرأ

والغريب، بارعًا فِي ذَلِكَ، تصدَّر للإقراء والتّدريس والحديث. وبعُدَ صِيتُه، وجلَّ قَدْره، جمع بَيْنَ الرواية والدّراية، وحمل النّاس عَنْهُ" [(١)].

وترجم له من علماء القراءات من قال: " عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ أبو القاسم وأبو زيد السهيلي الخثعمي المالقي، الإمام العلم المشهور، أخذ القراءات عن سليمان بن يحيىٰ بن سعيد، ومنصور بن الحسين، قرأ عليه القراءات عمر بن عبد المجيد الزيدي[(٢)]،... أضر وله سبع عشرة سنة، وكان بحرًا في أنواع من العلوم لا سيما المعاني واللغة والنسب، تصدر للإقراء والتدريس والحديث، جمع بين الرواية والدراية، وبعد صيته وجل قدره "[(٣)].

فالسهيلي أحد أعلام القراءات الذين جمعوا بين الرواية والدراية، كان بحرا في اللغة، وهكذا يجب أن يكون شأن علماء القراءات، فهاهم أسلافنا يقررون أن علم القراءات «شديدُ المؤاخاة لعلمي الحديث والعربية، من عرفه دونهما، أو دون أحدهما لم يكن منه علىٰ بصيرة في جميع أمره" [(٤)].

عليه اليسع بن عيسىٰ بن حزم ومحمد بن أبي العيش الطرطوشي ومحمد بن عبيد الله بن العويص والقاسم بن محمد بن الزقاق .(غاية النهاية ٢/ ٣١٢) .

(١) تاريخ الإسلام ١٢/ ٧٣١، غاية النهاية في طبقات القراء، ٣/ ٦٩.

(٢) عمر بن عبد المجيد أبو حفص الأزدي المرندي بالراء والنون نزيل مالقة، قرأ بالروايات علىٰ أبي القاسم السهيلي وأحكم عنه العربية وكان إماما في القراءات والعربية ذا صلاح وتأله، مات في ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة عن ثلاث وسبعين سنة، وشرح الجمل للزجاجي. غاية النهاية ١/ ٥٩٤.

(٣) غاية النهاية ١/ ٣٧١.

(٤) الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات:إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ٢٢، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤٢٨ هـ= ٢٠٠٧م.

ومن يطالع مصنفات أبي القاسم السهيلي ككتاب «الرّوض الأُنُف والمشرع الرِّوىٰ فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واحتوىٰ»[(١)]، وكتاب «غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن»، وكتاب «شرح آية الوصية»، وكتاب «نتائج الفكر"وأماليه في النحو واللغة والحديث والفقه، يحصل علىٰ مادة قرائية متنوعة، فاستخرت الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ وجمعت هذه المادة القرائية، وجعلت ذلك في حلقتين، جاءت الحلقة الأولىٰ بعنوان « التوظيف[(٢)] اللغوي للقراءات القرآنية : أَبو القَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ) أنموذجا : عرض وتحليل»[(٣)]، وستكون الحلقة الثانية ـ

(١) قال ابن خلكان (ت: ٦٨١ هـ):" وهذا ابن هشام هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبها ، ولخصها وشرحها السهيلي ، وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام (وفيات الأعيان ٣/ ١٧٧)، وقال السهيلي:" وَأَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ(ت٢١٨ هـ)، فَمَشْهُورٌ بِحَمْلِ الْعِلْمِ، مُتَقَدِّمٌ فِي عِلْمِ النَّسَبِ وَالنَّحْوِ، وَهُوَ حِمْيَرِيّ مَعَافِرِيّ مِنْ مِصْرَ، وَأَصْلُهُ مِنْ الْبَصْرَةِ،" (الروض الأنف ١/ ٤٣).

(٢) في تاج العروس:" التَّوْظِيفُ: تَعْيِينُ الوَظِيفَةِ؛ يُقالُ: وَظَّفْتُ عَلَىٰ الصَّبيّ كُلَّ يَوْمٍ حِفْظَ آياتٍ مِن كتابِ اللهِ عز وجل" (تاج العروس: وظ ف)، فالمراد من العنوان : كيف عينّ السهيلي وظيفة القراءات القرآنية من الناحية اللغوية في سياق ما يتحدث عنه؟.

(٣) قامت دراسات سابقة علىٰ تراث السهيلي، منها:

* ـ أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي: د. محمد إبراهيم البنا، دار البيان العربي، جدة، ط١ : ١٤٠٥ هـ= ١٩٨٥م.

* ـ اعتراضات السهيلي علىٰ النحاة، جمعا ودراسة: عبد الله بن زيد آل داود (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٤ هـ/ ١٤١٥ هـ.

إن شاء الله تعالىٰ ـ بعنوان «القراءات القرآنية بين الاحتجاج لها والاحتجاج بها عند أَبي القَاسِمِ السُّهَيْلِيّ (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ)، دراسة في ضوء مستويات علم اللغة الحديث».

واقتضت خطة الحلقة الأولىٰ أن تأتي في مقدمة، وخمسة مباحث علىٰ ما يأتي:

المبحث الأول: الدلالة اللغوية وأثرها في التنوع القرائي واتفاقه.

المبحث الثاني: التوظيف اللغوي لتنوع القراءات وأثره في الدلالة التفسيرية.

المبحث الثالث: توظيف القراءات لغويا في مسائل العقيدة.

---

* ـ تقويم الفكر النحوي للسهيلي من خلال كتابه (نتائج الفكر في النحو) في ضوء علم اللغة الحديث، دراسة تحليلية تأصيلية: ويزة أعراب (رسالة ماجستير)، جامعة مولود معمري، الجزائر ٢٠١٢م.
* ـ الجامع لتفسير الإمام السهيلي (ت٥٨١ هـ) وبذيله مسألة تفسيرية للإمام السهيلي تحقق لأول مرة " خروج اللفظ عن أصله لما دخله من المعنىٰ في ضمنه": جمعه وحققه وعلق عليه: د. كيان أحمد حازم يحيىٰ، دار المدار الإسلامي ٢٠١٩م.
* ـ علوم القرآن عند الإمام السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ) من خلال كتابه " الروض الأنف" : عبد العزيز أيت مالك (د.ت).
* ـ الفروق الدلالية بين التراكيب القرآنية المتناظرة عند السهيلي: أسيل متعب الجنابي، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الحادي والعشرون، ٢٠١٦م.
* ـ ما لا ينصرف وموانع الصرف بين جمهور النحويين والسهيلي: د. عبد العظيم فتحي خليل، دار جوامع الكلم، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
* ـ مسائل النحو والصرف في أمالي السهيلي (عرض وتحليل): غادة محمد أحمد نصر، (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية (د.ت).
* ـ منهج السهيلي في الدرس النحوي: فاطمة رزاق (رسالة ماجستير)، جامعة قاصدي مرباح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ٢٠٠٩م.

المبحث الرابع: توظيف القراءات لغويا في الأحكام الفقهية.

المبحث الخامس: توظيف القراءات لغويا في تصحيح الرواية في كتب السنة.

ثم **خاتمة** فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، يعقبها ثبت لأهم المراجع والمصادر ثم آخر للموضوعات.

أسأله ـ تبارك وتعالىٰ ـ أن يتقبل منا العمل، وأن يتجاوز عن الخطأ والزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسولنا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

مصطفى أحمد محمد إسماعيل
أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر الشريف، (فرع المنوفية)
جريس. أشمون. منوفية

المبحث الأول

الدلالة اللغوية
وأثرها في التنوع القرائي واتفاقه

تنوعت القراءات المتواترة فِي قوله ﴿فَأَسْرِ﴾ [هود: ٨١] [الحجر: ٦٥] [الدخان: ٢٣]

وقوله ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ [طه: ٧٧] [الشعراء: ٥٢]" فَقَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ كَثِيرٍ بِوَصْلِ الْأَلِفِ فِي الْخَمْسَةِ وَيَكْسِرُونَ النُّونَ مِنْ ﴿أَنْ﴾ لِلسَّاكِنَيْنِ وَصْلًا وَيَبْتَدِئُونَ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ مَفْتُوحَةً "[(١)].

فوجه من قرأ بوصل الهمزة أنه جعله من سرىٰ يَسْري، ووجه من قرأ بقطعها أنه جعله من أسرىٰ يُسري[(٢)]. ويشهد لـ" سرىٰ "قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤]، فَإِنَّ فَتْحَ يَاءِ ﴿يَسۡرِ﴾ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ مُضَارِعُ سَرَىٰ الثُّلَاثِيَّةِ، ويشهد لـ" أسرىٰ "قوله تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾ [الإسراء: ١] [(٣)].

وللعلماء في هاتين الصيغتين مذاهب:

الأول: الجمهور من اللغويين والمفسرين وعلماء التوجيه علىٰ أنهما لُغَتَانِ [(٤)]فَصِيحَتَانِ[(٥)] فاشيتان[(١)]، بمعنىٰ سير الليل أو أكثره، وليست همزة

(١) النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٩٠.
(٢) الدرة الفريدة في شرح القصيدة لابن النجيبين الهمذاني ٤/ ١٦٦.
(٣) إبراز المعاني ٥١٩.
(٤) الحجة لابن خالويه ١٨٩ ومفاتيح الغيب ١٨/ ٣٨١ وإبراز المعاني ٥١٩.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٩٦ والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٧٩.

(أسرىٰ) للتعدية [٢]، قال الجوهري(ت٣٩٣ هـ): " وسَرَيْتُ سُرىً ومَسْرىً وأَسْرَيْتُ بمعنىً، إذا سرتَ ليلاً، وبالألف لغة أهل الحجاز، وجاء القرآن بهما جميعًا "[٣]، وقال الشنقيطي(ت١٣٩٣ هـ): " وَسَرَىٰ وَأَسْرَىٰ: لُغَتَانِ وَقِرَاءَتَانِ صَحِيحَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ "[٤]، وَجَمَعَ اللُّغَتَيْنِ قَوْلُ نَابِغَةِ ذُبْيَانَ:

أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوْزَاء سَارِيةٌ تُزْجِي الشَّمَالُ عَلَيْهَا جَامِدَ الْبَرَدِ[٥]

فَإِنَّهُ قَالَ: أَسْرَتْ، رُبَاعِيَّةً فِي أَشْهَرِ رِوَايَتَيِ الْبَيْتِ، وَقَوْلُهُ: سَارِيَةٌ، اسْمُ فَاعِلِ «سَرَىٰ» الثُّلَاثِيَّةِ، وَجَمَعَهُمَا أَيْضًا قَوْلُ الْآخَرِ:

حَيِّ النَّضِيرَةَ رَبَّةَ الخِدْرِ أَسْرَتْ إليكَ وَلَمْ تكُنْ تَسْرِي[٦]

بِفَتْحِ تَاءِ «تَسْرِي». وَاللُّغَتَانِ كَثِيرَتَانِ جِدًّا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَمَصْدَرُ الرُّبَاعِيَّةِ الْإِسْرَاءُ عَلَىٰ الْقِيَاسِ، وَمَصْدَرُ الثُّلَاثِيَّةِ السُّرَىٰ بِالضَّمِّ عَلَىٰ وَزْنِ فُعَلٍ بِضَمٍّ فَفَتْحٍ عَلَىٰ غَيْرِ قِيَاسٍ[٧].

الثاني: قَالَ بعض اللغويين مِنْهُم أَبُو عَمْرو الشَّيْبَانِيّ (٩٤ - ٢٠٦ هـ): يُقَال سرىٰ فِي أول اللَّيْل، وَأسرىٰ من آخِره[٨]، قال ابن عرفة(ت٨٠٣ هـ):

---

(١) الدرة الفريدة في شرح القصيدة لابن النجيبين الهمذاني ٤/ ١٦٦.

(٢) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي ٦/ ٢.

(٣) الصحاح (س ري) ٦/ ٢٣٧٦.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ١٩١.

(٥) البيت للنابغة في ديوانه ص١٨ .

(٦) البيت من الكامل لحسان بن ثابت ص٥٢.

(٧) أضواء البيان ٢/ ١٩٢.

(٨) حجة القراءات ص٣٤٧.

" قيل: ما الحكمة في قوله: ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١] [الحجر: ٦٥] دون (في) والسري لا يكون إلا بالليل؟، فقال: ظاهر لفظ السري أنه في أول أزمنة الليل، فقال: بقطع من الليل ليفيد التوسعة، فإنه لو سرىٰ قبل انقضاء آخر أزمنة الليل لعد متمهلا "[1].

الثالث: أَسْرىٰ لأولِ الليل، وسَرَىٰ لآخره، وهو قولُ الليث، وأمَّا سار فمختص بالنهار، وليس مقلوباً مِنْ سَرىٰ [2].

الرابع: الهمزة للتعدية ومفعوله محذوف تقديره: أسرىٰ ملائكته بعبده[3]، قال الرازي(ت٦٠٦ هـ): " يُقَالُ: سَرَىٰ يَسْرِي إِذَا سَارَ بِاللَّيْلِ، وَأَسْرَىٰ بِفُلَانٍ إِذَا سِيرَ بِهِ بِاللَّيْلِ "[4]، وفي تاج العروس: " وأَمَّا قوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، وَإِن كانَ السُّرَىٰ لَا يكونُ إلاَّ لَيْلاً أَنَّه تَأْكِيدٌ كقَوْلِهم: سِرْتُ أَمْسِ نَهَارا والبارِحَة لَيْلًا.... أَو مَعْنَاهُ: سَيَّرَه.... وقالَ عَلَم الدِّيْن السَّخاوِي(٥٥٨ - ٦٤٣ هـ) فِي تَفْسيرِه: إنَّما قالَ﴿لَيْلًا﴾ والإِسْراءُ لَا يكونُ إلاَّ باللَّيْل، لأنَّ المدَّةَ الَّتِي أَسْرىٰ بِهِ فِيهَا لَا تُقْطَعُ فِي أَقَل مِن أَرْبَعِين يَوْمًا فقُطِعَتْ بِهِ فِي لَيْلٍ واحِدٍ؛ فكانَ المَعْنىٰ سُبحان الَّذِي أَسْرَىٰ بعَبْدِه فِي لَيْلٍ واحِدٍ من كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ مَوْضِعُ التَّعجُّبِ، وإنَّما عَدَلَ عَن لَيْلةٍ إِلَىٰ لَيْلٍ؛ لأنَّهم إِذا قَالُوا سَرَىٰ لَيْلَةً كانَ ذلكَ فِي الغالِبِ لاسْتِيعابِ اللَّيْلة بالسُّرَىٰ، فقيلَ ﴿لَيْلًا﴾ أَي فِي لَيْلٍ "[5].

---

(١) تفسير ابن عرفة ٢/ ٣٦٧.

(٢)الحجة لابن خالويه ص ١٨٩ و الدر المصون ٦/ ٣٦٤.

(٣) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي ٦/ ٢.

(٤) مفاتيح الغيب ١٨/ ٣٨١.

(٥) تاج العروس (س ر ي).

هذا ما قدمه اللغويون والمفسرون في دلالة هاتين الصيغتين، لكن يبقىٰ سؤلان يتعلقان بهاتين الصيغتين في القرآن الكريم، هما:

- ما دلالة تنوع القراءات المتواترة في خمسة مواضع بين هاتين الصيغتين، واتفاقها في الموضعين الآخرين؟.
- ما دلالة مجيء (أسرىٰ) دون (سرىٰ) في سورة الإسراء، ومجيء (سرىٰ) دون (أسرىٰ) في سورة الفجر؟.

ويجاب عن ذلك بأن أبا القاسم السهيلي قد قدم إجابة لغوية رائقة لهذين السؤالين، واصفا اللغويين بعدم الدقة حين قالوا بترادف هاتين الصيغتين، فقال في حديثه عن سورة الإسراء: « اتّفَقَتْ الرّوَاةُ عَلَىٰ تَسْمِيَتِهِ إسْرَاءً، وَلَمْ يُسَمّهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ: سُرًىٰ، وَإِنْ كَانَ أَهْلُ اللّغَةِ قَدْ قَالُوا: سَرَىٰ وَأَسْرَىٰ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، فَدَلّ عَلَىٰ أَنّ أَهْلَ اللّغَةِ لَمْ يُحَقّقُوا الْعَبّارَةَ، وَذَلِكَ أَنّ القرّاء لم يختلفوا في التلاوة من قوله: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ﴾[الإسراء: ١] وَلَمْ يَقُلْ: سَرَىٰ، وَقَالَ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]، وَلَمْ يَقُلْ: يُسْرِي[1]، فَدَلّ عَلَىٰ أَنّ السّرَىٰ مِنْ سَرَيْت إذَا سِرْت لَيْلًا، وَهِيَ مُؤَنّثَةٌ تَقُولُ: طَالَتْ سُرَاك اللّيْلَةَ، وَالْإِسْرَاءُ مُتَعَدّ فِي الْمَعْنَىٰ، وَلَكِنْ حُذِفَ مَفْعُولُهُ كَثِيرًا حَتّىٰ ظَنّ أَهْلُ اللّغَةِ أَنّهُمَا بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، لَمّا رَأَوْهُمَا غَيْرَ مُتَعَدّيَيْنِ إلَىٰ مَفْعُولٍ فِي اللّفْظِ، وَإِنّمَا ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، أَيْ: جَعَلَ الْبُرَاق يَسْرِي، كَمَا تَقُولُ: أَمَضَيْته، أَيْ: جَعَلْته يَمْضِي، لَكِنْ كَثُرَ حَذْفُ الْمَفْعُولِ لَقُوّةِ الدّلَالَةِ عَلَيْهِ، أَوْ لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْ ذِكْرِهِ، إذْ الْمَقْصُودُ بِالْخَبَرِ ذِكْرُ مُحَمّدٍ، لَا ذِكْرُ الدّابّةِ الّتِي

(١) وكذلك لم يرد في كتب الشواذ قراءة بالصيغة الأخرىٰ، ينظر: (شواذ القرآن واختلاف المصاحف لابن أبي نصر الكرماني ١/ ٤٤٣ والمغني في القراءات لابن الدهان ٣/ ١١٢١، ٤/ ١٩١٧).

سَارَتْ بِهِ، وَجَازَ فِي قِصّةِ لُوطٍ - عليه السلام. أَنْ يُقَالَ له: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١] [الحجر: ٦٥]: أَيْ فَاسْرِ بِهِمْ، وَأَنْ يَقْرَأَ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ بِالْقِطْعِ، أَيْ: فَأَسْرِ بِهِمْ مَا يَتَحَمّلُونَ عَلَيْهِ مِنْ دَابّةٍ أَوْ نَحْوِهَا[1]، وَلَمْ يُتَصَوّرْ ذَلِكَ فِي السّرَىٰ بِالنّبِيّ ﷺ إذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ سَرَىٰ بِعَبْدِهِ بوجه مِنْ الْوُجُوهِ؛ فَلِذَلِكَ لَمْ تَأْتِ التّلَاوَةُ إلّا بِوَجْهٍ وَاحِدٍ فِي هَذِهِ الْقِصّةِ، فَتَدَبّرْهُ!.

وَكَذَلِكَ تَسَامَحَ النّحْوِيّونَ أَيْضًا فِي الْبَاءِ وَالْهَمْزَةِ، وَجَعَلُوهُمَا بِمَعْنَىٰ وَاحِدٍ فِي حُكْمِ التّعْدِيَةِ، وَلَوْ كَانَ مَا قَالُوهُ أَصْلًا لَجَازَ فِي: أَمْرَضْته أَنْ تَقُولَ: مَرِضْت بِهِ، وَفِي أَسْقَمْته: أَنْ تَقُولَ: سَقِمْت بِهِ، وَفِي أَعْمَيْته أَنْ تَقُولَ: عَمِيت بِهِ قِيَاسًا عَلَيّ: أَذْهَبْته وَأَذْهَبْت بِهِ، وَيَأْبَىٰ اللهُ ذَلِكَ وَالْعَالِمُونَ؛ فَإِنّمَا الْبَاءُ تُعْطِي مَعَ التّعْدِيَةِ طَرَفًا مِنْ الْمُشَارَكَةِ فِي الْفِعْلِ، وَلَا تُعْطِيهِ الْهَمْزَةُ، فَإِذَا قُلْت: أَقْعَدْته، فَمَعْنَاهُ: جَعَلْته يَقْعُدُ، وَلَكِنّك شَارَكْته فِي الْقُعُودِ، فَجَذَبْته بِيَدِك إلَىٰ الْأَرْضِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَلَا بُدّ مِنْ طَرَفٍ مِنْ الْمُشَارَكَةِ إذَا قَعَدْت بِهِ، وَدَخَلْت بِهِ، وَذَهَبْت بِهِ بِخِلَافِ أَدْخَلْته وَأَذْهَبْته.

فَإِنْ قُلْت: فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]، و﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠] وَيَتَعَالَىٰ- سُبْحَانَهُ- عَنْ أَنْ يوصف بالذهاب، ويضاف إلَيْهِ طَرَفٌ مِنْهُ، وَإِنّمَا مَعْنَاهُ: أَذْهَبَ نُورَهُمْ وَسَمْعَهُمْ. قُلْنَا: فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذَا: أَنّ النّورَ وَالسّمْعَ وَالْبَصَرَ كَانَ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ قَالَ: بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهَذَا: مِنْ الْخَيْرِ الّذِي بِيَدِهِ، وَإِذَا كَانَ بِيَدِهِ،

---

(١) وكذا قوله تعالىٰ مع موسىٰ - عليه السلام - ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ [طه:٧٧] وقوله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ [الشعراء:٥٢] وقوله ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ [الدخان:٢٣].

فَجَائِزٌ أَنْ يُقَالَ ذَهَبَ بِهِ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الّذِي يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ كَائِنًا مَا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ، فَعَلَيْهِ يَنْبَنِي ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ الْآخَرُ الّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[البقرة: ١٧] مَجَازًا كَانَ أَوْ حَقِيقَةً، أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ لَمّا ذَكَرَ الرّجْسَ كَيْفَ قَالَ: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾[الأحزاب: ٣٣] وَلَمْ يَقُلْ يُذْهِبُ بِهِ، وَكَذَلِكَ قَالَ: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[الأنفال: ١١]

تعليما لِعِبَادِهِ حُسْنَ الْأَدَبِ مَعَهُ، حَتّىٰ لَا يُضَافُ إِلَىٰ الْقُدّوسِ سُبْحَانَهُ- لَفْظًا وَمَعْنًىٰ شَيْءٌ مِنْ الْأَرْجَاسِ، وَإِنْ كَانَتْ خَلْقًا لَهُ وَمِلْكًا فَلَا يُقَالُ: هِيَ بِيَدِهِ عَلَىٰ الْخُصُوصِ، تَحْسِينًا لِلْعِبَارَةِ وَتَنْزِيهًا لَهُ، وَفِي مِثْلِ النّورِ وَالسّمْعِ وَالْبَصَرِ يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ: هِيَ بِيَدِهِ، فَحَسُنَ عَلَىٰ هَذَا أَنْ يُقَال: ذَهَبَ بِهِ، وَأَمّا ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، فَإِنّ دُخُولَ الْبَاءِ فِيهِ لَيْسَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَإِنّهُ فِعْلٌ يَتَعَدّىٰ إِلَىٰ مَفْعُولٍ، وَذَلِكَ الْمَفْعُولُ الْمُسَرّىٰ هُوَ الّذِي سَرَىٰ بالعبد فشاركه بِالسّرَىٰ، كَمَا قَدّمْنَا فِي قَعَدْت بِهِ أَنّهُ يُعْطَىٰ الْمُشَارَكَةُ فِي الْفِعْلِ، أَوْ فِي طَرَفٍ منه» [(١)].

ومن خلال هذا النص يمكننا استنتاج الآتي:

أ ـ يرىٰ السهيلي أن اللغويين لم يحققوا العبارة حين قالوا بأن (سرىٰ) و(أسرىٰ) لغتان بمعنىٰ، والدليل علىٰ هذا أن القراءات القرآنية تنوعت بين الصيغتين في خمسة مواضع، واتفقت علىٰ (أسرىٰ) في أول الإسراء، وعلىٰ (سرىٰ) في أول سورة الفجر.

ب ـ فرق السهيلي بين الصيغتين بأن (سرىٰ) فعل لازم، ويتعدىٰ للمفعول بالباء، وأن (أسرىٰ) متعد يتعدىٰ للمفعول بنفسه وبالباء، ويؤيد ما قاله السهيلي ما جاء في القاموس المحيط« السُّرَىٰ،

(١) الروض الأنف٣/ ٤١٢.

كالهُدَىٰ: سَيْرُ عامَّةِ اللَّيْلِ، ويُذَكَّرُ. سَرَىٰ يَسْرِي سُرًى ومَسْرًى وسَرْيَةً، ويُضَمُّ، وسِرايَةً، وأَسْرَىٰ واسْتَرَىٰ وسَرَىٰ به، وأَسْراه وبه» [(١)]، وقال الزبيدي (ت١٢٠٥ هـ): « وسَرَىٰ بِهِ وأَسْراهُ وأَسْرىٰ بِهِ: أَي يُسْتَعْملان مُتعدِّيَيْن بالباءِ إِلَىٰ مَفْعول» [(٢)].

ج ـ وبناء علىٰ هذه التفرقة يكون في قوله ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ مفعول به محذوف « أَيْ: جَعَلَ الْبُرَاق يَسْرِي، كَمَا تَقُولُ: أَمَضَيْته، أَيْ: جَعَلْته يَمْضِي، لَكِنْ كَثُرَ حَذْفُ الْمَفْعُولِ لَقُوّةِ الدّلَالَةِ عَلَيْهِ، أَوْ لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْ ذِكْرِهِ، إذْ الْمَقْصُودُ بِالْخَبَرِ ذِكْرُ مُحَمّدٍ، لَا ذِكْرُ الدّابّةِ الّتِي سَارَتْ بِهِ»[(٣)]، وفي حاشية الشهاب الخفاجي(ت١٠٦٩ هـ) « وقيل: الهمزة للتعدية ومفعوله محذوف تقديره: أسرىٰ ملائكته بعبده» [(٤)].

---

(١) القاموس المحيط (فصل السين، باب الراء ١/ ١٢٩٤).

(٢) تاج العروس (س ر ي) ٣٨/ ٢٦٢.

(٣) الروض الأنف٣/ ٤١٢.

(٤) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي تفْسيرِ البَيضَاوي ٦/ ٢.

ويخالف البقاعي(ت٨٨٥ هـ) في ذلك فيقول:" ولما كان حرف الجر مقصوراً علىٰ إفادة التعدية في «سرىٰ» الذي بمعنىٰ أسرىٰ وكان أسرىٰ يستعمل متعديًا وقاصراً عبر به، واختير القاصر للدلالة علىٰ المصاحبة زيادة في التشريف فقال تعالىٰ: {بعبده} أي الذي هو أشرف عباده وأحقهم بالإضافة إليه الذي لم يتعبد قط لسواه من صنم ولا غيره لرجاء شفاعة ولا غيرها. ولما كان الإسراء هو السير في الليل، وكان الشيء قد يطلق علىٰ جزء معناه بدلالة التضمن مجازاً مرسلاً، نفي هذا بقوله تعالىٰ: {ليلاً}وليدل بتنوين التحقير علىٰ أن هذا الأمر الجليل كان في جزء يسير من الليل، وعلىٰ أنه عليه الصلاة والسلام لم يحتج – في

د ـ تأثر ابن عاشور(ت١٣٩٣ هـ) بالسهيلي في مسألة دلالة التعدية، فقال: " وأَسْرىٰ لُغَةٌ فِي سَرَىٰ، بِمَعْنَىٰ سَارَ فِي اللَّيْلِ، فَالْهَمْزَةُ هُنَا لَيْسَتْ لِلتَّعْدِيَةِ لِأَنَّ التَّعْدِيَةَ حَاصِلَةٌ بِالْبَاءِ، بَلْ (أسرىٰ) فعل مفتح بِالْهَمْزَةِ مُرَادِفُ سَرَىٰ، وَهُوَ مِثْلُ أَبَانَ الْمُرَادِفُ بَانَ، وَمِثْلُ أَنْهَجَ الثَّوْبُ بِمَعْنَىٰ نَهَجَ أَيْ بَلِيَ، فَـ ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ بِمَنْزِلَةِ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [الْبَقَرَة: ١٧].

وَلِلْمُبَرِّدِ(ت٢٨٥ هـ) وَالسُّهَيْلِيِّ(ت٥٨١ هـ) نُكْتَةٌ فِي التَّفْرِقَةِ بَيْنَ التَّعْدِيَةِ بِالْهَمْزَةِ وَالتَّعْدِيَةِ بِالْبَاءِ بِأَنَّ الثَّانِيَةَ أَبْلَغُ؛ لِأَنَّهَا فِي أَصْلِ الْوَضْعِ تَقْتَضِي مُشَارَكَةَ الْفَاعِلِ الْمَفْعُولَ فِي الْفِعْلِ، فَأَصْلُ (ذَهَبَ بِهِ) أَنَّهُ اسْتَصْحَبَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [الْقَصَص: ٢٩]. وَقَالَتِ الْعَرَبُ أَشْبَعَهُمْ شَتْمًا، وَرَاحُوا بِالْإِبِلِ. وَفِي هَذَا لَطِيفَةٌ تُنَاسِبُ الْمَقَامَ هُنَا إِذْ قَالَ ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ دُونَ (سَرَىٰ بِعَبْدِهِ)، وَهِيَ التَّلْوِيحُ إِلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَانَ مَعَ رَسُولِهِ فِي إِسْرَائِهِ بِعِنَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطّور: ٤٨]، وَقَالَ: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا﴾ [التَّوْبَة: ٤٠]. فَالْمَعْنَىٰ: الَّذِي جَعَلَ عَبْدَهُ مُسْرَيًا، أَيْ سَارِيًا، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ٨١]. وَإِذْ قَدْ كَانَ السُّرَىٰ خَاصًّا بِسَيْرِ اللَّيْلِ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿ لَيْلًا ﴾ إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّ السَّيْرَ بِهِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ كَانَ فِي جُزْءِ لَيْلَةٍ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ ذِكْرُهُ إِلَّا تَأْكِيدًا، عَلَىٰ أَنَّ الْإِفَادَةَ كَمَا يَقُولُونَ خَيْرٌ مِنَ الْإِعَادَةِ. وَفِي ذَلِكَ إِيمَاءٌ إِلَىٰ أَنَّهُ إِسْرَاءٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ لِقَطْعِ الْمَسَافَةِ

الإسراء والعروج إلىٰ سدرة المنتهىٰ وسماع الكلام من العلي الأعلىٰ – إلىٰ رياضة بصيام ولا غيره، بل كان مهيئًا لذلك متأهلاً له، فأقامه تعالىٰ من الفرش إلىٰ العرش"(نظم الدرر ١١/ ٢٨٩).

الَّتِي بَيْنَ مَبْدَأِ السَّيْرِ وَنِهَايَتِهِ فِي بَعْضِ لَيْلَةٍ، وَأَيْضًا لِيَتَوَسَّلَ بِذِكْرِ اللَّيْلِ إِلَىٰ تَنْكِيرِهِ الْمُفِيدِ لِلتَّعْظِيمِ. فَتَنْكِيرُ ﴿لَيْلًا﴾ لِلتَّعْظِيمِ، بِقَرِينَةِ الِاعْتِنَاءِ بِذِكْرِهِ مَعَ عِلْمِهِ مِنْ فِعْلِ أَسْرىٰ، وَبِقَرِينَةِ عَدَمِ تَعْرِيفِهِ، أَيْ هُوَ لَيْلٌ عَظِيمٌ بِاعْتِبَارِ جَعْلِهِ زَمَنًا لِذَلِكَ السُّرَىٰ الْعَظِيمِ، فَقَامَ التَّنْكِيرُ هُنَا مَقَامَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ التَّعْظِيمِ. أَلَا تَرَىٰ كَيْفَ احْتِيجَ إِلَىٰ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ التَّعْظِيمِ بِصِيغَةٍ خَاصَّةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَما أَدْراكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ *﴾ [الْقَدْرِ: ١- ٢] إِذْ وَقَعَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ غَيْرَ مُنَكَّرَةٍ "[(١)].

ووافق ابن القيم(ت٧٥١ هـ) السهيلي فيما ذهب إليه [(٢)].

فإن قيل: فهذا المعنىٰ يُفهم من الفعل الثلاثي لو قيل: "سَري بعبده"، فما فائدة الجمع بين الهمزة والباء؟ ففيه أجوبة:

أحدها: أنهما بمعنىٰ، وأن (أسرىٰ) لازم كـ (سَرىٰ)، تقول: "سرىٰ زيد وأسرىٰ" بمعنىٰ واحد، هذا قول جماعة.

الثاني: أن (أسرىٰ) متعدٍّ ومفعوله محذوف، أي: أسرىٰ بعبده البراق، هذا قول أبي القاسم السهيلي وغيره، ويشهد للقول الأول قول الصديق "أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الغَدِ، حَتَّىٰ قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ" [(٣)].

والجواب الصحيح: أن الثلاثي المتعدي بالباء يفهم منه شيئان:

أحدهما: صدور الفعل من فاعله. الثاني: مصاحبته لما دخلت عليه الباء.

فإذا قلت: "سريتُ بزيد وسافرتُ به"، كنتَ قد وُجد منك السُّري والسفر مصاحبا لزيد فيه، كما قال:

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢.

(٢)بدائع الفوائد ٣/ ٧٢٠.

(٣) صحيح البخاري (٤/ ٢٠١/ ٣٦١٥).

وَلَقَد سَرَيْتُ عَلىٰ الظّلام ..... (١)

ومنه الحديث: "أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ"(٢)، وأما المتعدي بالهمزة فيقتضي إيقاع الفعل بالمفعول فقط كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النحل: ٧٨] ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[الشعراء: ٥٧] ، ونظائره فإذا قرن هذا المتعدي بالهمزة أفاد

(١) صدر بيت لأبي كَبِير الْهُذلِيّ في المحكم لابن سيده (٢/ ٢٤٤) وعجزه: جَلْدٍ من الفِتْيانِ غَيرِ مُهْبَّلِ .

والمِغْشَمُ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَرْكَبُ رأْسَه لَا يَثْنيه شَيْءٌ عَمَّا يُرِيدُ ويَهْوَىٰ مِنْ شَجَاعَتِهِ (لسان العرب: غ ش م)، وعَلَىٰ بِمَعْنَىٰ فِي.

ـ يقول: ولقد سريت ليلاً برجلٍ غشومٍ قوي من الرجال غير منسوبٍ إلىٰ الثقل والكسل في الأمور. فإن قال قائلٌ: إذا كان السرىٰ لا يكون إلا ليلاً فلم قال علىٰ الظلام، ولم جاء في القرآن: " أسرىٰ بعبده ليلاً " و: " فأسر بعبادي ليلاً "؟ قلت: المراد توسط الليل والدخول في معظمه، تقول: جاء فلانٌ البارحة بليلٍ، أي في معظم ظلمته وتمكن ذلك الوقت من ليلته. والجلد: الصلب القوي؛ ومنه الجلد من الأرض. وإنما قال مغشم لأنه جعله كالآلة في الغشم، ومفعل بناء لهذا المعنىٰ، ويريد به تأبط شراً. وكان لأبي كبيرٍ معه قصةٌ معروفة، والأبيات مقصورةٌ عليها، وناطقةٌ بها أو بأكثرها. والغشم والاعتساف يتقاربان. ويقال غشم الوالي رعيته غشمًا وفي كلام بعضهم: أسدٌ حطومٌ خيرٌ من سلطان غشومٍ. ويجوز أن يكون معنىٰ غير مثقل أي كان حسن القبول، محببًا إلىٰ القلوب. (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٦٤)

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٥٩/ ٢٥٩٣) وتمامه: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللهِ ﷺ» .

إيقاع الفعل علىٰ المفعول مع المصاحبة المفهومة من الباء ولو أتىٰ فيه بالثلاثي فهم منه معنىٰ المشاركة في مصدره وهو ممتنع فتأمله [(١)].

ز ـ ومما يؤيد ما ذهب إليه السهيلي في عدم ترادف الصيغتين، ما ورد أن المؤرّج(ت١٩٥ هـ) سأل سعيد بن مسعدة(٢١٥ هـ) عن قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾[الفجر: ٤]: ما العلة في سقوط الياء منه، وإنما تسقط عند الجزم؟ فقال: لا أجيبك ما لم تبت علىٰ باب داري مدة. قال: فبتّ علىٰ باب داره مدّة، ثم سألته، فقال: اعلم أن هذا مصروف علىٰ جهته، وكل ما كان مصروفا علىٰ جهته فإن العرب تبخس حظه من الإعراب نحو قوله: ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[مريم: ٢٨] أسقط الهاء لأنها مصروفة من فاعلة إلىٰ فعيل. قلت: وكيف صرفه؟ قال: الليل لا يسري، وإنما يسرىٰ فيه [(٢)].

قال البقاعي(ت٨٨٥ هـ) عند تفسيره لقوله تعالىٰ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤]: "﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ أي من ليلة النفر ﴿إِذَا يَسۡرِ﴾ أي ينقضي كما ينقضي ليل الدنيا وظلام ظلمها فيخلفه الفجر ويسرىٰ فيه الذين آبوا إلىٰ الله راجعين إلىٰ ديارهم بعد حط أوزارهم، وقد رجع آخر القسم علىٰ أوله – وأثبت الياء في ﴿يَسۡرِ﴾ ابن كثير ويعقوب وحذفها الباقون[(٣)]، وعلة حذفها قد سأل عنها المؤرجُ(ت١٩٥ هـ) الأخفشَ(ت٢١٥ هـ) فقال: اخدمني سنة، فسأله بعد سنة فقال: الليل يسرىٰ فيه ولا يَسري، فعدل به عن معناه فوجب أن يعدل عن لفظه كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[مريم: ٢٨]

(١) بدائع الفوائد ٣/ ٧٣١، ويقارن بالكليات للكفوي ص: ٥٠٥.

(٢) معجم الأدباء ٣/ ١٣٧٥ والوافي بالوفيات ١٥/ ١٦٢.

(٣) ابن كثير ويعقوب بالإثبات وصلا ووقفا، ونافع وأبو عمرو وأبو جعفر بالإثبات وصلا لا وقفا، والباقون بالحذف وصلا ووقفا(تقريب النشر ١/ ٤٤٠).

لما عدل عن «باغية» عدل لفظه فلم يقل: بغية – انتهى، وهو يرجع إلى اللفظ مع أنه يلزم منه رد روايات الإثبات، والحكمة المعنوية فيه – والله أعلم – من جهة الساري وما يقع السرى فيه، فأما من جهة الساري فانقسامهم ليلة النفر إلى مجاور وراجع إلى بلاده، فأشير إلى المجاورين بالحذف حثاً على ذلك لما فيه من جلالة المسالك، فكان ليل وصالهم ما انقضى كله، فهم يغتنمون حلوله ويلتذون طوله من تلك المشاهد والمشاعر والمعاهد، وإلى الراجعين بالإثبات لما سرى الليل بحذافيره عنهم آبوا راجعين إلى ديارهم فيما انكشف من نهارهم، وأما من جهة ما وقع فيه السرى فللإشارة إلى طوله تارة وقصره أخرى، فالحذف إشارة إلى القصير والإثبات إشارة إلى الطويل بما وقع من تمام سراه وما وقع للسارين فيه من قيام وصف الأقدم بين يدي الملك العلام....، فقد انقسم الليل إلى ذي طول وقصر، والساري فيه إلى ذي حضر وسفر، فدلت المفاوتة في ذلك وفي جميع أفراد القسم على أن فاعلها قادر مختار واحد قهار، ولذلك أتبعه الدلالة بقهر القهارين وإبارة الجبارين، وأما «بغي» فذكرت حكمته في مريم"[1].

ح ـ تعقب أَبُو شامة(٥٩٩ ـ ٦٦٥ هـ) قَولَ السُّهيْلِي مستدركا قَول أهل اللُّغَة إِن أسرى وسرى لُغَتَانِ بِمَعْنى وَاحِد "اتّفقت الرِّوَايَات على تَسْمِيَته

(١) نظم الدرر ٢٢/ ٢٢.وقال في موضع سورة مريم:" ولما هالها هذا الأمر، أداها الحال إلى غاية الإسراع في إلقاء ما تريد من المعاني لها لعلها تستريح مما تصورته، فضاق عليها المقام، فأوجزت حتى بحذف النون من «كان» ولتفهم أن هذا المعنى منفي كونه على أبلغ وجوهه فقالت {ولم أك} . ولما كان المولود سر من يلده، وكان التعبير عنه بما هو من مادة الغلمة دالاً على غاية الكمال في الرجولية المقتضي لغاية القوة في أمر النكاح نفت أن يكون فيها شيء من ذلك فقالت: {بغيًا } أي ليكون دأبي الفجور، ولم يأت «بغية» لغلبة إيقاعه على النساء، فكان مثل حائض وعاقر في عدم الإلباس ولأن بغية، لا يقال إلا للمتلبسة به" (نظم الدرر ١٢/ ١٨٥).

إسراء وَلم يسمه أحد سرىٰ فَدلَّ علىٰ أَن أهل اللُّغَة لم يتحققوا الْعبارَة" إِلَىٰ آخر مَا ذكر السُّهيْلِي، فَقَالَ أَبُو شامة: إِنَّمَا أطبق النَّاس علىٰ تَسْمِيَته إسراء مُحَافظَة علىٰ لفظ الْقُرْآن، وَإِلَّا فقد جَاءَ فِي صَحِيح مُسلم عَن أبي هُرَيْرَة ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ»[(١)] ، بِفَتْحِ الْمِيمِ مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ أَيْ عَنْ سَيْرِي إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ [(٢)].

وأقول: تعقب أبي شامة ليس في محله؛ فإن السهيلي يناقش مسألة اتفاق القراءات علىٰ الإسراء دون السرىٰ في سورة الإسراء، وليس إطباق الناس، ولا يمنع أن يتكلم النبي ﷺ باللغتين، إلا أن اصطفاء القرآن الكريم للغة في موضع دون آخر مما يشير إلىٰ إعجاز لهجي في القرآن الكريم.

وأخيرا:

- انفرد السهيلي بهذا التوجيه اللغوي للقراءات، فلم يذكره أحد من علماء التوجيه والاحتجاج.
- وظّف السهيلي تنوع القراءات واتفاقها في النظير المختلف فيه في التفرقة الدلالية بين الصيغ الصرفية، وهذا ضابط انفرد به السهيلي.
- يقول السهيلي بالتنوع الدلالي للقراءات علىٰ المستوىٰ الصرفي ولا يؤيد اتحاد المعنىٰ.

*** *** ***

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٨/ ١٦٦. والحديث في صحيح مسلم (١/ ١٥٦/ ١٧٢) وتمامه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: " فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ.... .

(٢) مرقاة المفاتيح ٩/ ٣٧٧٣.

المبحث الثاني

توظيف القراءات لغويا في الدلالة التفسيرية

قرر علماؤنا "أَنَّ عَلَىٰ الْمُفَسِّرِ أَنْ يُبَيِّنَ اخْتِلَافَ الْقِرَاءَاتِ...؛ لِأَنَّ فِي اخْتِلَافِهَا تَوْفِيرًا لِمَعَانِي الْآيَةِ غَالِبًا، فَيَقُومُ تَعَدُّدُ الْقِرَاءَاتِ مَقَامَ تَعَدُّدِ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ" (١)، ولهذا وجدنا السهيلي يوظف القراءات لغويا في تفسير آيات من الذكر الحكيم، ويتضح ذلك من خلال ما يأتي:

أولا: توظيف تنوع القراءات لغويا لتنوع المعنى:

قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران]

قرأ المدنيان ويعقوب ﴿يَرَوْنَهُم﴾ بالخطاب، والباقون بالغيب (٢).

قال السهيلي: "فَمَنْ قَرَأَهُ: ﴿يَرَوْنَهُم﴾ بِالْيَاءِ، فَمَعْنَاهُ أَنّ الْكُفّارَ يَرَوْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانُوا أَقَلّ مِنْهُمْ لَمّا كَثّرَهُمْ بِالْمَلَائِكَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: وَكَيْفَ وَهُوَ يَقُولُ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]؟

(١) التحرير والتنوير ١/ ٥٦.

(٢) تقريب النشر في القراءات العشر ٢/ ٤٧٩.

قيل: كان هذا قبل القتال عندما حزر الكفار المؤمنين، فرأوهم قَلِيلًا، فَتَجَاسَرُوا عَلَيْهِمْ ثُمّ أَمَدّهُمْ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، فَرَأَوْهُمْ كَثِيرًا فَانْهَزَمُوا.

وَقِيلَ: إنّ الْهَاءَ فِي ﴿يَرَوْنَهُم﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الْكُفّارِ، وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ رَأَوْهُمْ مِثْلَيْهِمْ، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ أَمْثَالِهِمْ، فَقَلّلَهُمْ فِي عُيُونِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَأَمّا مَنْ قَرَأَهَا بِالتّاءِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِلْيَهُودِ، أَيْ تَرَوْنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَيْ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ أَنّهُمْ كَانُوا أَلْفًا، فَانْخَذَلَ عَنْهُمْ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ بِبَنِي زُهْرَةَ، فَصَارُوا سَبْعَمِائَةٍ أَوْ نَحْوَهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِلْمُشْرِكِينَ، أَيْ: تَرَوْنَ أَيّهَا الْمُشْرِكُونَ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلَيْهِمْ، حِينَ أَمَدّهُمْ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، فَيَعُودُ الْكَلَامُ إلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْأَوّلِ الّذِي قَدّمْنَاهُ فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِالْيَاء"[(١)].

وحاصل كلام السهيلي أنه ذكر وجهين في كل قراءة والسياق يحتمل الأوجه جميعها، ففي قراءة الياء يحتمل أن يعود الضمير المنصوب (هم) علىٰ المؤمنين، والمعنىٰ: أَنّ الْكُفّارَ يَرَوْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانُوا أَقَلّ مِنْهُمْ لَمّا كَثّرَهُمْ بِالْمَلَائِكَةِ، ويحتمل أن يعود عَلَىٰ الْكُفّارِ، وَأَنّ الْمُؤْمِنِينَ رَأَوْهُمْ مِثْلَيْهِمْ، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ أَمْثَالِهِمْ، فَقَلّلَهُمْ فِي عُيُونِ الْمُؤْمِنِينَ.

ـ والسياق يشهد للقراءتين، فـ "مَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ فَلِلْمُغَايبة الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَ الْخِطَابِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾، فَقَوْلُهُ: ﴿يَرَوْنَهُم﴾ يَعُودُ إلَىٰ الْإِخْبَارِ عَنْ إحْدَىٰ الْفِئَتَيْنِ"[(٢)].

وقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ(ت٢٩٩ هـ): الْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي ﴿يَرَوْنَهُم﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ

(١) الروض الأنف٤/ ٤٢٤.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٧/ ١٥٧.

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وَهَذَا مِنَ الْإِضْمَارِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا مِثْلَيِ الْمُسْلِمِينَ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ وَثَلَاثَةَ أَمْثَالِهِمْ فِي الْعَدَدِ. قَالَ: وَالرُّؤْيَةُ هُنَا لِلْيَهُودِ. وَقَالَ مَكِّيٌّ(ت٤٣٧ هـ): الرُّؤْيَةُ لِلْفِئَةِ الْمُقَاتِلَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْمَرْئِيَّةُ الْفِئَةُ الْكَافِرَةُ، أَيْ تَرَىٰ الْفِئَةُ الْمُقَاتِلَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ الْفِئَةَ الْكَافِرَةَ مِثْلَيِ الْفِئَةِ الْمُؤْمِنَةِ، وَقَدْ كَانَتِ الْفِئَةُ الْكَافِرَةُ ثَلَاثَةَ أَمْثَالِ الْمُؤْمِنَةِ فَقَلَّلَهُمُ اللهُ فِي أَعْيُنِهِمْ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ. وَالْخِطَابُ فِي﴿لَكُمْ﴾ لِلْيَهُودِ(١).

- وفي قراءة التاء يحتمل أن يكون الخطاب لليهود، ويحتمل أن يكون للكفار، ويؤيد الاحتمال الأول السياق السابق، حيث "إن الْكَلَام قبل ذَلِك جرىٰ بمخاطبة الْيَهُود، وَهُوَ قَوْله ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾[آل عمران: ١٣] فإلحاق هَذَا أَيْضا بِمَا تقدم أولىٰ، وَمعنىٰ الْكَلَام: قد كَانَ يَا معشر الْيَهُود﴿ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم رَسُول الله ﷺ وَأَصْحَابه ببدر، ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركون ﴿تَرَوْنَهُم﴾ أَنْتُم أَيهَا الْيَهُود مثلي الفئة الَّتِي تقَاتل فِي سَبِيل الله" (٢)، وَإِذَا كَانَ الضَّمِيرُ فِي﴿لَكُمْ﴾ لِلْيَهُودِ فَالْآيَةُ كَمَا أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَهُ لَهُمُ احْتِجَاجًا عَلَيْهِمْ، وَتَثْبِيتًا لِصُورَةِ الْوَعْدِ السَّابِقِ مِنْ أَنَّ الْكُفَّارَ سَيُغْلَبُونَ.

وإِذَا "كَانَ الْخِطَابُ لِمُشْرِكِي مَكَّةَ فَهُوَ ظَاهِرٌ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ رَأَىٰ ذَلِكَ وَعَلِمَ بِهِ الْآخَرُونَ، وَإِذَا كَانَ لِلْيَهُودِ فَالْيَهُودُ كَانُوا مُشْرِفِينَ أَيْضًا بِكُلِّ عِنَايَةٍ عَلَىٰ مَا جَرَىٰ بِبَدْرٍ وَغَيْرِ بَدْرٍ مِنَ الْقِتَالِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ ؛ عَلَىٰ أَنَّ الْكَلَامَ لَيْسَ نَصًّا فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَالْيَهُودُ قَدْ شَهِدُوا مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمَاضِي. وَقَدْ عُلِمَ

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٧.

(٢) حجة القراءات ص١٥٤.

أَنَّ الْقُرْآنَ يُسْنِدُ إِلَىٰ الْحَاضِرِينَ مِنَ الْأُمَّةِ عَمَلَ الْغَابِرِينَ لِإِفَادَةِ مَعْنَىٰ الْوَحْدَةِ وَالتَّكَافُلِ، وَظُهُورِ أَثَرِ الْأَوَائِلِ فِي الْأَوَاخِرِ، وَرَأَوْا مِثْلَهُ فِي زَمَنِ الْخِطَابِ فِي حَرْبِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ» (١).

وَيُحْتَمَلُ عَلَىٰ مَنْ قَرَأَ بِتَاءِ الْخِطَابِ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ فِي﴿تَرَوْنَهُم﴾ لِلْكَافِرِينَ وَالْمَجْرُورُ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَالتَّقْدِيرُ: تَرَوْنَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ مِثْلَي الْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتُبْعِدَ هَذَا إِذْ كَانَ التَّرْكِيبُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ: تَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْكُمْ، وَأُجِيبَ بِأَنَّهُ مِنَ الِالْتِفَاتِ مِنْ ضَمِيرِ الْخِطَابِ إِلَىٰ ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[يونس: ٢٢] (٢).

فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ، وَآيَةُ الْأَنْفَالِ فِي قِصَّةٍ وَاحِدَةٍ، فَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا التَّكْثِيرِ وَذَاكَ التَّقْلِيلِ بِاعْتِبَارِ حَالَيْنِ، قُلِّلُوا أَوَّلًا فِي أَعْيُنِ الْكُفَّارِ حَتَّىٰ يجترؤا عَلَىٰ مُلَاقَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكُثِّرُوا حَالَةَ الْمُلَاقَاةِ حَتَّىٰ قَهَرُوا وَغَلَبُوا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[الصافات: ٢٤] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾[الرحمن: ٣٩] (٣).

وَعَلَىٰ قراءة الخطاب يَكُونُ الْعُدُولُ عَن التَّعْبِير بفئتكم وَفِئَتِهِمْ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾، لِقَصْدِ صُلُوحِيَّةِ ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ لِكِلْتَا الْفِئَتَيْنِ، فَيُفِيدُ اللَّفْظُ آيَتَيْنِ عَلَىٰ التَّوْزِيعِ، بِطَرِيقَةِ التَّوْجِيهِ (٤).

وَهكذا تكاملت القراءتان مع البنية اللغوية في منح الدلالات الآتية:

---

(١) تفسير المنار ٣/ ١٩٣.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٤٦.

(٣) البحر المحيط ٣/ ٤٦.

(٤) التحرير والتنوير ٣/ ١٧٨.

ـ أن يكون المعنىٰ: تَرَوْنَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ مِثْلَيْ أَنْفُسِهِمْ فِي الْعَدَدِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي الْآيَةِ، أَنَّهُمْ رَأَوُا الْكُفَّارَ فِي مِثْلَيْ عَدَدِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ نَصَرَهُمُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَأَوْقَعَ الْمُسْلِمُونُ بِهِمْ. وَهَذِهِ حَقِيقَةُ التَّأْيِيدِ بِالنَّصْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩][(١)].

ـ ويصح فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الرَّائِينَ هُمُ الْمُشْرِكُونَ وَالْمَرْئِيِّينَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَرَوْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلَيْ عَدَدِ الْمُشْرِكِينَ قَرِيبًا مِنْ أَلْفَيْنِ، أَوْ مِثْلَيْ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ سِتُّمِائَةٍ، وَذَلِكَ مُعْجِزٌ[(٢)].

وكان حكمة تقليل المسلمين أولا أن لا يكترث لهم الكفار ويستهينوا أمرهم فلا يكثروا الاستعداد لهم، وحكمة تقليل المشركين ظاهرة وهي أن لا يهابهم المسلمون ولا يرغبوا بسبب كثرتهم، فلما حصل الغرض من الجانبين والتقىٰ الجمعان كثر الله تعالىٰ المسلمين في أعين الكفار؛ ليجتنبوا عنهم فينهزموا [(٣)]، وهذا التقليل والتكثير واقع بحسب أول القتال وآخره، وقبل اللقاء وبعده، لما أراد الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ من الحكم كما في آية الأنفال، والمعنىٰ: إنا فاعلون بكم أيها الكفار علىٰ أيديهم ما فعلناه بأولئك، وقد كانوا قائلين أعظم من مقالاتكم، فلم تغن عنهم كثرتهم شيئًا، ولا شدة شكيمتهم ونخوتهم فإن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ولي المؤمنين لطيبهم ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠][(٤)].

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٤٦.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٧/ ١٥٦.

(٣) إبراز المعاني ص٣٨٢.

(٤) نظم الدرر ٤/ ٢٦٣.

التنوع التركيبي للقراءتين:

محل ﴿يَرَوْنَهُم﴾ علىٰ الغيب رفعٌ، صفة لإحدىٰ الفئتين، أو مستأنف، وعلىٰ الخطاب حال من ضمير ﴿لَكُمْ﴾ علىٰ الاتصال، ورفع علىٰ الالتفات[(١)].

القراءة الشاذة وأثرها في دلالة الرؤية على القراءتين:

اختلف في دلالة الرؤية بين كونها بصرية أو اعتقادية علىٰ النحو الآتي:

أ ـ قالَ الرَّاغبُ(ت٥٠٢ هـ): الرَّأْيُ اعْتِقادُ النَّفْسِ أَحَد النَّقِيضَيْن عَن غلبةِ الظنِّ، وعَلىٰ هَذَا قوْلُه ـ عز وجل ـ : ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣]، أَي يظنُّونَهم بحَسَبِ مُقْتَضىٰ مشاهَدَةِ العَيْنِ مَثِلَيهم [(٢)]، وقال الرازي(ت٦٠٦ هـ): "نَحْمِلُ الرُّؤْيَةَ عَلَىٰ الظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنِ اشْتَدَّ خَوْفُهُ قَدْ يَظُنُّ فِي الْجَمْعِ الْقَلِيلِ أَنَّهُمْ فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ" [(٣)].

ب ـ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ(ت٣٧٧ هـ): الرُّؤْيَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ رُؤْيَةُ عَيْنٍ، وَلِذَلِكَ تَعَدَّتْ إِلَىٰ مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، قَالَ مَكِّيٌّ (ت: ٤٣٧هـ)وَالْمَهْدَوِيُّ (نحو ٤٤٠هـ): يَدُلُّ عَلَيْهِ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [(٤)]، وقال أبو حيان (ت٧٤٥ هـ): "وَالرُّؤْيَةُ فِي هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ بَصَرِيَّةٌ تَتَعَدَّىٰ لِوَاحِدٍ، وَانْتَصَبَ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ عَلَىٰ الْحَالِ.... وَيُقَوِّي ذَلِكَ ظَاهِرُ قَوْلِهِ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾، وَانْتِصَابُهُ عَلَىٰ هَذَا انْتِصَابُ الْمَصْدَرِ الْمُؤَكِّدِ....

وَقِيلَ: الرُّؤْيَةُ هُنَا مِنْ رُؤْيَةِ الْقَلْبِ، فَيَتَعَدَّىٰ لِاثْنَيْنِ، وَالثَّانِي هُوَ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾، وَرُدَّ هَذَا بِوَجْهَيْنِ:

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٤٦ وشرح الجعبري علىٰ الشاطبية ٣/ ١٣٠٩

(٢)المفردات للراغب ص ٣٧٤ وتاج العروس (ر أ ي).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٧/ ١٥٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٥.

أَحَدُهُمَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَأَى ٱلْعَيْنِ﴾، وَالثَّانِي: أَنَّ رُؤْيَةَ الْقَلْبِ عِلْمٌ، وَمُحَالٌ أَنْ يُعْلَمَ الشَّيْءُ شَيْئَيْنِ.

وَأُجِيبَ عَنِ الْأَوَّلِ: بِأَنَّ انْتِصَابَهُ انْتِصَابُ الْمَصْدَرِ التَّشْبِيهِيِّ، أَيْ: رَأْيًا مِثْلَ رَأْيِ الْعَيْنِ أَيْ يُشْبِهُ رَأْيَ الْعَيْنِ وَلَيْسَ فِي التَّحْقِيقِ بِهِ. وَعَنِ الثَّانِي: بِأَنَّ مَعْنَىٰ الرُّؤْيَةِ هُنَا الِاعْتِقَادُ، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مُحَالًا. وَإِذَا كَانُوا قَدْ أَطْلَقُوا الْعِلْمَ فِي اللُّغَةِ عَلَىٰ الِاعْتِقَادِ دُونَ الْيَقِينِ، فَلِأَنْ يُطْلِقُوا الرَّأْيَ عَلَيْهِ أَوْلَىٰ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] أَيْ فَإِنِ اعْتَقَدْتُمْ إِيمَانَهُنَّ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (تُرَوِّنَهُمْ) بِضَمِّ التَّاءِ، أَوِ الْيَاءِ[1]. قَالُوا: فَكَانَ الْمَعْنَىٰ أَنَّ اعْتِقَادَ التَّضْعِيفِ فِي جَمْعِ الْكُفَّارِ أَوِ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ تَخْمِينًا وَظَنًّا، لَا يَقِينًا. فَلِذَلِكَ تُرِكَ فِي الْعِبَارَةِ ضَرْبٌ مِنَ الشَّكِّ، وَذَلِكَ أَنْ: أُرِيَ، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ تَقَوُّلُهَا فِيمَا عِنْدَكَ فِيهِ نَظَرٌ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَكَمَا اسْتَحَالَ أَنْ يُحْمَلَ الرَّأْيُ هُنَا عَلَىٰ الْعِلْمِ، يَسْتَحِيلُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَىٰ النَّظَرِ بِالْعَيْنِ، لِأَنَّهُ كَمَا لَا يَقَعُ الْعِلْمُ غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلْمَعْلُومِ، كَذَلِكَ لَا يَقَعُ النَّظَرُ الْبَصَرِيُّ مُخَالِفًا لِلْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّخْمِينِ وَالظَّنِّ، وَإِنَّهُ لِتَمَكُّنِ ذَلِكَ فِي اعْتِقَادِهِمْ. شُبِّهَ برؤية العين[2].

وفي المحتسب: " قرأ ابن عباس وطلحة: ﴿يُرَوْنَهم مِثلَيهم﴾ بياء مضمومة. قال أبو الفتح(ت٣٩٢ هـ): هذه قراءة حسنة المعنىٰ؛ وذلك أن

---

(١) القراءة بياء الغيبة مضمومة نسبت لابن عباس وطلحة في المحتسب ١/ ١٥٤ ولابن عباس وطلحة بن مصرف وأبي حيوة في المحرر ٣/ ٣٤ ولابن عباس في شواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ١٥٢.

والقراءة بتاء الخطاب مضمومة نسبت لأبي عبد الرحمن السلمي في شواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ١٥٢ والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٤٦.

رَأيتُ وأرىٰ أقوىٰ في اليقين من أُريتُ وأُرَىٰ، تقول: أُرىٰ أن سيكون كذا؛ أي: هذا غالب ظني، وأرىٰ أن سيكون كذا؛ أي: أعلمه وأتحققه؛ وسبب ذلك أن الإنسان قد يُريه غيره الشيء فلا يصح له، فمعناه إذن أن غيره يشرع في أن يراه ولا أنه هو لا يراه، وأما أرىٰ فإخبار بيقين منه، فكذلك هذه الآية: ﴿يُرَوْنَهُم مِثْلَيْهِم﴾ أي: يُصوَّر لهم ذلك وإن لم يكن حقًّا؛ لأن الشيء الواحد لا يكون اثنين في حال واحد؛ ولكن قد يُظن ويتوهم شيئين بل أشياء كثيرة، ومثله قول الله تعالىٰ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣]، فهذا يُحسِّن هذه القراءة.

وأما قراءة الجماعة: ﴿يَرَوْنَهُم﴾ فلأنها أقوىٰ معنىً؛ وذلك أنه أوكد لفظًا؛ أي: حتىٰ لا يقع شك فيهم ولا ارتياب بهم أنهم مثلاهم، فهذا أبلغ في معناه من أن يكون مُرٍ يُرِيهم ذلك، فقد يجوز أن يتم له ذلك وقد لا، هذا في ظاهر الأمر؛ فأما علىٰ اليقين ومع الحقيقة فلا يجوز أن يكون الشيء الواحد شيئين اثنين فيما له كان واحدًا، ومما جاء مفصولًا فيه بين أَرَىٰ وأُرَىٰ قوله:

ترىٰ أَو ترَاءىٰ عنْدَ مَعقِدِ غَرزِهَا تَهاوِيلَ مِنْ أَجلادِ هِرٍّ مُعَلَّقِ (١)

فلما قال: "ترىٰ" استكثر ذلك؛ لأنه مع التحصيل لا حقيقة له، فأتبعه بما لان له القول الأول، فقال: أو تراءىٰ، فاعرف ذلك(٢).

*** *** ***

(١) البيت للممزق العبدي من قصيدة له قافية، كما في الأصمعيات ١٨٨، والغرز للناقة: مثل الحزام للفرس، والتهاويل: جمع تهويل؛ وهو ما هول به، أجلاد الشيء: شخصه بكماله. يريد: كان هرًّا علق عند معقد حزامها أنشب أظافره فيها، فهي تنفر وتسرع. وانظر: المفضليات: ٢١٠. .

(٢) المحتسب ١/ ١٥٥.

ثانيا: توظيف القراءات لغويا في ترجيح أحد الأقوال:

أ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ....﴾[الكهف: ٢٦]

قال السهيلي: «وقد فسّر [(١)] قوله تعالىٰ: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾ فَقَالَ: مَعْنَاهُ أَيْ: سَيَقُولُونَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَحَدُ التّأْوِيلَاتِ فِيهَا، وَعَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ قَرَأَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: (وَقَالُوا لَبِثُوا)، بِزِيَادَةِ (قَالُوا)[(٢)]. ثُمّ قَالَ ابن إسحق: (قُلْ رَبّي أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا)، وَهُوَ وَهْمٌ مِنْ الْمُؤَلّفِ أَوْ غَيْرِهِ، وَإِنّمَا التّلَاوَةُ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ وَقَدْ قِيلَ: إنّهُ إخْبَارٌ مِنْ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ مِقْدَارِ لُبْثِهِمْ، وَلَكِنْ لَمّا عَلِمَ اسْتِبْعَادَ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْكُفّارِ لِهَذَا الْمِقْدَارِ، وَعَلِمَ أَنّ فِيهِ تَنَازُعًا بَيْنَ النّاسِ، فَمِنْ ثَمّ قَالَ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾»[(٣)].

أورد السهيلي في قوله تعالىٰ ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ قولين، ووظّف القراءة الشاذة كدليل لأحد القولين: "أحدهما: أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل علىٰ ذلك ما في قراءة ابن مسعود: (وقالوا لبثوا في كهفهم) وهو معطوف علىٰ ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ﴾ [الكهف: ٢٢]، فقوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ رد عليهم في هذا العدد المحكي عنهم.

---

(١) ابن إسحاق.

(٢) ينظر: المغني في القراءات لابن الدهان٣/ ١١٥٧ ، الكشاف ٢/ ، الوجيز ٣/ ٥١٠ ، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨٦ ، البحر المحيط ٧/ ١٦٤ .

(٣) الروض الأنف ٣/ ١٧٢ .

القول الثاني: أنه من كلام الله ـ تعالىٰ ـ وأنه بيان لما أجمل في قوله: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾[الكهف: ١١]، ومعنىٰ قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾علىٰ هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم، وقد أخبر بمدة لبثهم، فإخباره هو الحق لأنه أعلم من الناس، وكان قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ ﴾احتجاجا علىٰ صحة ذلك الإخبار "[1].

وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣ هـ): " يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ ﴿وَلَبِثُوا۟﴾ عَطْفًا عَلَىٰ مَقُولِهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الْكَهْف: ٢٢] أَيْ وَيَقُولُونَ: لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ، لِيَكُونَ مَوْقِعُ قَوْلِهِ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ [الْكَهْف: ٢٦] كَمَوْقِعِ قَوْلِهِ السَّابِقِ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾[الْكَهْف: ٢٢]، وَعَلَيْهِ فَلَا يَكُونُ هَذَا إِخْبَارًا عَنْ مُدَّةِ لُبْثِهِمْ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَرَأَ (وَقَالُوا لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ) إِلَىٰ آخِرِهِ، فَذَلِكَ تَفْسِيرٌ لِهَذَا الْعَطْفِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَطْفُ عَلَىٰ الْقِصَّةِ كُلِّهَا، وَالتَّقْدِيرُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] إِلَىٰ آخِرِهِ، وَهُمْ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ وَتِسْعَ سِنِينَ.

وَعَلَىٰ اخْتِلَافِ الْوَجْهَيْنِ يَخْتَلِفُ الْمَعْنَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ [الْكَهْف: ٢٦]... إِنْ كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِي كَهْفِهِمْ﴾ [الْكَهْف: ٢٥] إِخْبَارًا مِنَ اللهِ عَنْ مُدَّةِ لُبْثِهِمْ يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ قَطْعًا لِلْمُمَارَاةِ فِي مُدَّةِ لُبْثِهِمُ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَيِ اللهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِمُدَّةِ لُبْثِهِمْ، وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَبِثُوا۟﴾ حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ أَهْلِ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٤٦٤.

الْكِتَابِ فِي مُدَّةِ لُبْثِهِمْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ تَفْوِيضًا إِلَىٰ اللهِ فِي عِلْمِ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾[الْكَهْف: ٢٢] "[1].

ب . قال السهيلي: « لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حتىٰ أَتَىٰ الصّفَا، فَصَعِدَ عَلَيْهِ، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاه، فَلَمّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدّقِيّ؟ قَالُوا: ما جرّبنا عَلَيْك كَذِبًا قَالَ: فَإِنّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبّا لَك أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: (تبت يدا أبي لهب وقد تبّ) [2]، هَكَذَا قَرَأَ مُجَاهِدٌ وَالْأَعْمَشُ، وَهِيَ- وَاللهُ أَعْلَمُ- قِرَاءَةٌ مَأْخُوذَةٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ(ت:

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٠٠ـ ٣٠١

(٢)عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهْ» فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد: ١] وَقَدْ تَبَّ، هَكَذَا قَرَأَهَا الأَعْمَشُ يَوْمَئِذٍ (هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، أخرجه البخاري في صحيحه(٦/ ١٧٩/ ٤٩٧١) ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٣/ ٢٠٨). كما وردت في كتب الشواذ معزوة لابن مسعود (ينظر: المغني في القراءات لابن الدهان ٤/ ١٩٦٩ ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٨).

قال ابن حجر: وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ فِيمَا نَقَلَ الْقُرَّاءُ عَنِ الْأَعْمَشِ، فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ قَرَأَهَا حَاكِيًا لَا قَارِئًا وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ" يَوْمَئِذٍ "فَإِنَّهُ يُشْعِرُ بِأَنَّهُ كَانَ لَا يَسْتَمِرُّ علىٰ قِرَاءَتِهَا كَذَلِك، وَالْمَحْفُوظ أَنَّهَا قِرَاءَة بن مَسْعُودٍ وَحْدَهُ(فتح الباري ٨/ ٥٠٣ وينظر: الإيمان لابن مندة (٢/ ٨٨٣/ ٩٥٠) وشرح النووي علىٰ مسلم ٣/ ٨٣).

٣٢هـ)؛ لِأَنّ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَلْفَاظًا كَثِيرَةً تُعِينُ عَلَىٰ التفسير، قال مجاهد(ت: ١٠٣هـ): لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس(ت: ١٠٣هـ)، ما احتجت أن أسأله عَنْ كَثِيرٍ مِمّا سَأَلْته، وَكَذَلِكَ زِيَادَة (قَدْ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فُسّرَتْ أَنّهُ خَبَرٌ مِنْ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنّ الْكَلَامَ لَيْسَ عَلَىٰ جِهَةِ الدّعَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[التوبة: ٣٠] [المنافقون: ٤]، أَيْ: إنّهُمْ أَهْلٌ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ هَذَا، فَـ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، لَيْسَ مِنْ بَابِ: ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾، وَلَكِنّهُ خَبَرٌ مَحْضٌ بِأَنّ قَدْ خَسِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَالْيَدَانِ: آلَةُ الْكَسْبِ، وَأَهْلُهُ وَمَالُهُ مِمّا كَسَبَ فَقَوْلُهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، تَفْسِيرُهُ: قَوْلُهُ: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾[المسد: ٢] وَوَلَدُ الرّجُلِ مِنْ كَسْبِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ(١)، أَيْ: خَسِرَتْ يَدَاهُ هَذَا الّذِي كَسَبْت، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَبَّ﴾، تَفْسِيرُهُ. ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[المسد: ٣] أَيْ: قَدْ خَسِرَ نَفْسَهُ بِدُخُولِهِ النّارَ»(٢).

وقد وظّف السهيلي القراءة الشاذة لغويا للدلالة علىٰ أن معنىٰ قوله تعالىٰ﴿وَتَبَّ﴾ خبر وليس دعاء؛ حيث ورد" في قوله ﴿وَتَبَّ﴾ أربعة أوجه: أحدها: أنه تأكيد للأول من قوله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ فقال بعده

(١) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ» (سنن ابن ماجة: ٢/ ٧٢٣/ ٢١٣٧) ، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «الْوَلَدُ مِنْ كَسْبِ الْوَالِدِ» (المعجم الوسيط ٥/ ٢١٩/ ٥١٣٦) وانظر حديث رقم: ٧١٦٢ في صحيح الجامع.

(٢) الروض الأنف٣/ ٢٩٨.

﴿وَتَبَّ﴾ تأكيداً. الثاني: يعني تبت يدا أبي لهب بما منعه الله تعالىٰ من أذىٰ لرسوله، وتب بما له عند الله من أليم عقابه. الثالث: يعني قد تبّ. الرابع: يعني وتبّ ولد أبي لهب "[1].

قال الفراء(ت٢٠٧ هـ): الأول دعاء، والثاني: خبر، كما يقول الرجل: أهلكك الله وقد أهلكك، وجعلك الله صالحًا وقد جعلك[2].

وقال الطبري(ت٣١٠ هـ): " يقول تعالىٰ ذكره: خسرت يدا أبي لهب، وخسر هو. وإنما عُنِي بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ تبّ عمله، وكان بعض أهل العربية يقول: قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾: دعاء عليه من الله، وأما قوله: ﴿وَتَبَّ﴾ فإنه خبر، ويُذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ)، وفي دخول (قد) فيه دلالة علىٰ أنه خبر، ويمثِّل ذلك بقول القائل لآخر: أهلكك الله، وقد أهلكك، وجعلك صالحا وقد جعلك "[3]، فـ« معنىٰ وَتَبَّ: وكان ذلك وحصل، كقوله:

جَزانِي، جَـزَاهُ اللهُ شَـرَّ جزَائِـه جَزاءَ الكِـلابِ العَاوِيَـاتِ وقَـدْ فعـلْ

فأَخْرَجَ الْأَوَّلَ مَخْرَجَ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عَبَسَ: ١٧] وَالثَّانِيَ مَخْرَجَ الخَبَرِ أَيْ كَانَ ذَلِكَ وَحَصَلَ [6]، فقَوْله تَعَالَىٰ (تبت يدا)

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٦٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٨ وزاد المسير ٤/ ٥٠٢.

(٣) جامع البيان للطبري ٢٤/ ٦٧٥.

(٤) البيت من الطويل يُنسب لأبي الأسود ولغيره (انظر الخزانة: ١/ ١٣٤ – ١٤٠، وضرائر الشعر لابن عصفور: ٢٠٩، وشرح ابن عقيل علىٰ الألفية ١/ ٤٩٦).

(٥) الكشاف ٤/ ٨١٣.

(٦) مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣٥٠ وينظر: إرشاد العقل السليم ٩/ ٢١٠.

وَبعده (وَتب) لَيْسَ بتكرار؛ لأن الأول جرىٰ مجْرىٰ الدُّعَاء وَالثَّانِي جَزَاء ، أي وَقد تب [(١)]،، وهي علىٰ قراءة الجمهور دعاء كالأول[(٢)].

والحاصل:

وظّف السهيلي-رحمه الله-القراءة الشاذة لبيان الدلالة الأسلوبية للقراءة المتواترة.

التنوع القرائي أفاد الدلالات الآتية:

١- عَطْفَ الدُّعَاءِ عَلَىٰ الدُّعَاءِ إِذَا كَانَ إِسْنَادُ التَّبَاتِ إِلَىٰ الْيَدَيْنِ؛ لِأَنَّهُمَا آلَةُ الْأَذَىٰ بِالرَّمْيِ بِالْحِجَارَةِ... ... فَأُعِيدَ الدُّعَاءُ عَلَىٰ جَمِيعِهِ إِغْلَاظًا لَهُ فِي الشتم والتقريع، وَتُفِيدُ بِذَلِكَ تَأْكِيدًا لِجُمْلَةِ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ لِأَنَّهَا بِمَعْنَاهَا، وَإِنَّمَا اختلفتا بِالْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ، وَذَلِكَ الِاخْتِلَافُ هُوَ مُقْتَضِي عَطْفِهَا، وَإِلَّا لَكَانَ التَّوْكِيدُ غَيْرَ مَعْطُوفٍ لِأَنَّ التَّوْكِيدَ اللَّفْظِيَّ لَا يُعْطَفُ بِالْوَاوِ...

٢- علىٰ القراءة الشاذة تَكُونَ الجملة فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَالْوَاوُ وَاوُ الْحَالِ وَلَا تَكُونُ دُعَاءً إِنَّمَا هِيَ تَحْقِيقٌ لِحُصُولِ مَا دُعِيَ عَلَيْهِ بِهِ... فَيَكُونُ الْكَلَامُ قَبْلَهُ مُسْتَعْمَلًا فِي الذَّمِّ وَالشَّمَاتَةِ بِهِ أَوْ لِطَلَبِ الْازْدِيَادِ، فَيَتَمَحَّضُ الْكَلَامُ قَبْلَهُ لِمَعْنَىٰ الذَّمِّ وَالتَّحْقِيرِ دُونَ مَعْنَىٰ طَلَبِ حُصُولِ التَّبَاتِ لَهُ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ حِينَ خُرُوجِهِ إِلَىٰ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ الَّتِي اسْتُشْهِدَ فِيهَا:

حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي ... أَرْشَدَكَ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ

(١) أسرار التكرار في القرآن ص ٢٥٧ وبصائر ذوي التمييز ١/ ٥٥٢.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٦٥.

(٣) البيت من البسيط لعبد الله بن رواحة من أبيات قالها رضىٰ الله عنه في استشهاده بغزوة مؤتة (السيرة: ٤/ ٦١).

يَعْنِي وَيَقُولُوا: وَقَدْ رَشِدَا، فَيَصِيرُ قَوْلُهُ: أَرْشَدَكَ اللهُ مِنْ غَازٍ، لِمُجَرَّدِ الثَّنَاءِ وَالْغِبْطَةِ بِمَا حَصَّلَهُ من الشَّهَادَة "[1].

- ـ يرىٰ السهيلي –رحمه الله– أن القراءات المدرجة المنسوبة للصحابة–رضوان الله عليهم– مما يعين علىٰ التفسير.

ثالثا: توظيف القراءات لغويا لفض النزاع بين المفسرين:

مسألة الذبيح هَلْ هُوَ إِسْمَاعِيلُ أَوْ إِسْحَاقُ ـ عليهما السلام ـ؟

هذه مسألة اختلف فيها العلماء كثيرا حتىٰ وجدنا بعضهم أفردها بالتصنيف، فألّف مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧ هـ) كتاب" الاختلاف في الذبيح من هو ؟"[2]، وألّف أبو بكر بن العربي(ت٥٤٣ هـ)" تبيين الصحيح في تعيين الذبيح "[3]، ولتقي الدين السبكي(ت٧٥٦ هـ): " القول الصحيح في تعيين الذبيح "[4].

وقد ذهب السهيلي إلىٰ أن الذبيح هو إسحق ـ عليه والسلام ـ واستدل علىٰ ذلك بالسياق القرآني وسياق الحال ورافد الرواية عن الصحابة والتابعين، يقول: " وقوله تعالىٰ ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] يعني إسحاق، ألا تراه يقول في آية أخرىٰ ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[هود: ٧١]، وقال في أخرىٰ: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذاريات: ٢٩] وامرأته هي سارة، فإذا كانت البشارة بإسحاق نصا فالذبيح لا شك هو إسحاق لقوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات:

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٠٣.

(٢) معجم الأدباء ٦/ ٢٧١٤ وإنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة ٣/ ٣١٦.

(٣) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ٣/ ٩٤.

(٤) أعيان العصر وأعوان النصر ٣/ ٤٣٢.

١٠٢] ولم يكن معه بالشام إلا إسحاق، وأما إسماعيل فكان قد استودعه مع أمه في بطن مكة، بهذا القول قال ابن مسعود[(١)] ورواه ابن جبير عن ابن عباس... وبه قال شيخ التفسير محمد بن جرير، وروي أيضا عن مالك بن أنس "[(٢)].

ثم عرض لحجج من قال بأن الذبيح هو إسماعيل ـ عليه السلام ـ وردّها، وكانت القراءات القرآنية حاضرة في هذه المناقشة العلمية فوظف القراءات لغويا لتأييد رأيه، وذلك علىٰ النحو الآتي:

أ ـ قال: " وقالت طائفة: الذبيح هو إسماعيل... ومن حجتهم أن الله تعالىٰ لما فرغ من قصة الذبيح قال﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ [الصافات: ١١٢] "[(٣)]، وَإِيضَاحُ ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ عَنْ نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ ـ عليه السلام ـ ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾[الصافات]، قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ عَاطِفًا عَلَىٰ الْبِشَارَةِ الْأُولَىٰ: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾[الصافات]، فَدَلَّ

(١) عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ، قَالَ: فَاخَرَ أَسْمَاءُ بنُ خَارِجَةَ(ت٦٦ هـ رَجُلاً، فَقَالَ: أَنَا ابْنُ الأَشْيَاخِ الكِرَامِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ: ذَاكَ يُوْسُفُ بنُ يَعْقُوْبَ بنِ إِسْحَاقَ الذَّبِيْحِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلِ (سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٦ وقال الذهبي: إسناده صحيح).

(٢) غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن ١٥٦.

(٣) السابق١٥٧.

ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْبِشَارَةَ الْأُولَىٰ شَيْءٌ غَيْرُ الْمُبَشَّرِ بِهِ فِي الثَّانِيَةِ ؛ لِأَنَّهُ لا يَجُوزُ حَمْلُ كِتَابِ اللهِ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَاهُ: فَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ، ثُمَّ بَعْدَ انْتِهَاءِ قِصَّةِ ذَبْحِهِ يَقُولُ أَيْضًا: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾، فَهُوَ تَكْرَارٌ لا فَائِدَةَ فِيهِ يُنَزَّهُ عَنْهُ كَلَامُ اللهِ، وَهُوَ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الْغُلَامَ الْمُبَشَّرَ بِهِ أَوَّلًا الَّذِي فُدِيَ بِالذبْحِ الْعَظِيمِ، هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وَأَنَّ الْبِشَارَةَ بِإِسْحَاقَ نَصَّ اللهُ عَلَيْهَا مُسْتَقِلَّةً بَعْدَ ذَلِكَ(١).

وقد أجاب السهيلي عن هذه الحجة" بوجهين:

أحدهما: أن البشارة الثانية إنما هي بنبوة إسحاق والأولىٰ بولادته، ألا تراه يقول﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[الصافات﴿١١٢﴾]، ولا تكون النبوة إلا في حال الكبر، و﴿نَبِيًّا﴾نصب علىٰ الحال(٢).

---

(١) أضواء البيان ٦/ ٣١٧.

(٢)قال الزمخشري: « ﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة، كقوله تعالىٰ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣]. فإن قلت: فرق بين هذا وبين قوله ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ وذلك أنّ المدخول موجود مع وجود الدخول، والخلود غير موجود معهما، فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما، وليس كذلك المبشر به، فإنه معدوم وقت وجود البشارة، وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة، لأنّ الحال حِلْيَةٌ ، والحِلْيَةٌ لا تَقُومُ إِلَّا بِالْمَحَلِّيِّ، وَهَذَا الْمُبَشَّرُ بِهِ الَّذِي هُوَ إِسْحَاقُ، حِينَ وُجِدَ لَمْ تُوجَدِ النُّبُوَّةُ أَيْضًا بِوُجُودِهِ ، بل تراخت عنه مدّة متطاولة، فكيف يجعل﴿نَبِيًّا﴾حالا مقدّرة، والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به، فالخلود وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنة، فتقديرها صفتهم، لأنّ المعنىٰ مقدّرين الخلود، وليس كذلك النبوّة، فإنه لا سبيل إلىٰ أن تكون موجودة أو مقدّرة وقت وجود البشارة بإسحاق لعدم إسحاق. قلت: هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك، والذي يحل الإشكال: أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف، وذلك قولك: وبشرناه بوجود إسحاق نبيا، أي بأن يوجد مقدّرة نبوّته، فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة، وبذلك يرجع، نظير قوله

والجواب الثاني: أن قوله تعالىٰ: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ تفسير، كأنه قال بعدما فرغ من ذكر المبشر وذكر ذبحه: وكانت البشارة بإسحاق، كما روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ (والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر)، أي هي صلاة العصر، فعطف الاسم علىٰ الاسم والمسمىٰ واحد"[(١)].

وهكذا وظّف السهيلي القراءة الشاذة توظيفا لغويا للرد علىٰ هذه الحجة، ففي قوله تعالىٰ ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[البقرة: ٢٣٨] وردت قراءة شاذة رُفعت في السنة النبوية الصحيحة إلىٰ النبي ﷺ فـ« عَنْ أَبِي يُونُسَ، مَوْلَىٰ عَائِشَةَ قَالَ: أَمَرَتْنِي عَائِشَةُ، أَنْ أَكْتُبَ لَهَا مُصْحَفًا، فَقَالَتْ: إِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الآيَةَ فَآذِنِّي ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فَلَمَّا بَلَغْتُهَا آذَنْتُهَا، فَأَمْلَتْ عَلَيَّ (حَافِظُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَىٰ وَصَلَاةِ العَصْرِ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)، وَقَالَتْ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ »[(٢)].

تعالىٰ ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ حال ثانية، ووروودها علىٰ سبيل الثناء والتقريظ، لأنّ كل نبي لا بد أن يكون من الصالحين» (الكشاف للزمخشري ٤/ ٥٨).

(١) غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن ص١٥٧.

(٢) سنن أبي داود (١/ ١١٢/ ٤١٠) وسنن الترمذي (٥/ ٢١٧/ ٢٩٨٢) واللفظ له، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وسنن النسائي(١/ ٢٢٦/ ٤٧٢) ومسند أحمد (٤٠/ ٥٠٥/ ٢٤٤٤٨) وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، وقال الألباني: صحيح.

وينظر: جامع البيان للطبري ٥/ ١٧٤ والكشاف ١/ ٢٨٧ والمغني في القراءات لابن الدهان ١/ ٥٢٣ وشواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ١٣٠.

وقد وجّه السهيلي هذه القراءة بأنها من قبيل عطف الاسم علىٰ الاسم والمسمىٰ واحد، بناء علىٰ أن الصلاة الوسطىٰ هي صلاة العصر، فـ « عَنْ عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا»، ثُمَّ صَلَّاهَا

= وَقَرَأَ أُبَيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: (وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ صَلَاةِ الْعَصْرِ) بِغَيْرِ وَاوٍ عَلَىٰ الْبَدَلِ (البحر المحيط ٢/ ٥٤٥ وفتح الباري ٨/ ١٩٧).

= وللعلماء تجاه هذه القراءة التي خالفت الرسم العثماني قولان:

الأول: أنها نسخت بالقراءة المتواترة، ويؤيد هذا ما ثبت " عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: نَزَلَتْ: " حَافِظُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ "، فَقَرَأْنَاهَا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺمَا شَاءَ اللهُ أَنْ نَقْرَأَهَا، لَمْ يَنْسَخْهَا اللهُ، فَأَنْزَلَ: {حَافِظُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ} [البقرة: ٢٣٨] " (مسند أحمد ٣٠/ ٦١٤/ ١٨٦٧٤) وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم". قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطحاوي(ت٣٢١ هـ): فَوَقَفْنَا بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ: (وَصَلَاةِ الْعَصْرِ) الْمَذْكُورَ فِي أَحَادِيثِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَأُمِّ كُلْثُومٍ عَنْهُنَّ مِمَّا قَدْ كَانَ قُرْآنًا فَنُسِخَ ، وَرُدَّ إِلَىٰ مَا فِي مَصَاحِفِنَا ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا رُوِيَ مِمَّا ذُكِرَ فِيهِ أَنَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا نَجِدُهُ فِي مَصَاحِفِنَا ، فَهُوَ مِمَّا قَدْ كَانَ قُرْآنًا وَنُسِخَ ، فَأُخْرِجَ مِنَ الْقُرْآنِ وَأُعِيدَ إِلَىٰ السُّنَّةِ فَصَارَ مِنْهَا (شرح مشكل الآثار ٥/ ٣٢٠).

الثاني: أنها محمولة علىٰ التفسير، قال القرطبي(ت٦٧١ هـ):" قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَالتَّفْسِيرِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ... فَقَوْلُهَا:(وَهِيَ الْعَصْرُ) دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَّرَ الصَّلَاةَ الْوُسْطَىٰ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ هُوَ(وَهِيَ الْعَصْرُ)" (الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢١٣).

بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ[(١)]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «صَلَاةُ الوُسْطَىٰ صَلَاةُ العَصْرِ» [(٢)].

ومن إفصاح العرب عطف الأوصاف المتكاملة، فيقال: فلان كريم وشجاع إذا تم فيه الوصفان، فإذا نقصا عن التمام قيل: كريم شجاع بالاتباع، فبذلك يقبل معنىٰ هذه القراءة أن تكون الوسطىٰ هي العصر عطفًا لوصفين ثابتين لأمر واحد. ويوضح هذا قولهم في الرمان المر: حلو حامض، من غير عطف، وبرهانه أنهم قالوا: إن الجمل إذا تتابعت من غير عطف كان ذلك مؤذنًا بتمام الاتصال بينها، فتكون الثانية إما علة للأولىٰ، وإما مستأنفة علىٰ تقدير سؤال سائل ونحو ذلك مما قاله البيانيون في باب الفصل والوصل، ولولا إشعار الكلام الأول بالجملة الثانية لاحتياجه إليها لم يوجد محرك للسؤال بخلاف ما إذا تعاطفت كان ذلك يؤذن بأن كل واحدة منها غنية عما بعدها وذلك مؤذن بالتمام: وأما أسماء الله تعالىٰ فتتابعها دون عطف، لأن شيئًا منها لا يؤدي جميع مفهوم اسم الذات العلم ولذلك ختم ـ سبحانه وتعالىٰ ـ آيات سورة الحشر بقوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤] [(٣)]أي أن هذه الأسماء التي ذكرت هي مما أفهمه مدلول الاسم العلم المبتدأ به سواء قلنا إنه مشتق أو لا، ومهما اطلعت علىٰ وصف حسن يليق به ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فهو مما دل عليه الاسم الأعظم، لأن من يستحق العبادة لا يكون إلا كذلك جامعًا لأوصاف الكمال، أو لأنه

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٣٧/ ٦٢٧).

(٢) سنن الترمذي (١/ ٣٣٩/ ١٨١) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وقال الألباني: حديث صحيح.

(٣) هذا ما ذكره البقاعي لكننا نرىٰ أن كل صفة أو اسم من أسمائه يحمل الكمال في الصفة.

لما جبلت النفوس وطبعت القلوب علىٰ المعرفة بأنه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ منزه عن شوائب النقص ومتصف بأوصاف الكمال كان الإعراء من العطف فيها للإيذان بذلك وما عطف منها فلمعنىٰ دعا إليه [1].

ويؤيد ذلك ما قاله الزمخشري(ت٥٣٨ هـ) عند تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]: " والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة علىٰ كمالهم في كل واحدة منها "[2]، وقال الرازي(ت٦٠٦ هـ): هَذِهِ الْخَمْسَةُ إِشَارَةٌ إِلَىٰ تَعْدِيدِ الصِّفَاتِ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ الْوَاجِبُ حَذْفَ وَاوِ الْعَطْفِ عَنْهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الْحَشْرِ: ٢٤] إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ هَاهُنَا وَاوَ الْعَطْفِ وَأَظُنُّ ـ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ـ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ دَخَلَ تَحْتَ الْمَدْحِ الْعَظِيمِ وَاسْتَوْجَبَ هذا الثواب الجزيل" [3].

وأرىٰ أن في هذا الاستدلال من السهيلي نظرًا، وذلك لما يأتي:

١ ـ الْمُقَرَّر فِي الْأُصُولِ: أَنْ النَّصَّ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ إِذَا احْتَمَلَ التَّأْسِيسَ وَالتَّأْكِيدَ مَعًا وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَىٰ التَّأْسِيسِ، وَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَىٰ التَّأْكِيدِ، إلَّا لِدَلِيلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إلَيْهِ، وَمَعْلُومٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَنَّ الْعَطْفَ يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ[4].

(١) نظم الدرر ٣/ ٣٦٤.

(٢) الكشاف ١/ ٣٤٣.

(٣) مفاتيح الغيب ٧/ ١٦٧.

(٤) أضواء البيان ٦/ ٣١٧.

٢ ـ أن تفسير الصلاة الوسطىٰ بصلاة العصر ليس محل اتفاق بين العلماء، فقد ذكر الرازي(ت٦٠٦ هـ) أنهم "اخْتَلَفُوا فِي الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ عَلَىٰ سَبْعَةِ مَذَاهِبَ" (١)، وقال أبو حيان (ت٧٤٥ هـ): "صَنَّفَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ، أَوْحَدُ زَمَانِهِ وَحَافِظُ أَوَانِهِ، شَرَفُ الدِّينِ ... الدِّمْيَاطِيُّ (٦١٣ – ٧٠٥ هـ) كِتَابًا فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ سَمَّاهُ (كِتَابُ كَشْفِ الْمُغَطَّىٰ فِي تَبْيِينِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ) قَرَأْنَاهُ عَلَيْهِ، وَرَجَّحَ فِيهِ أَنَّهَا صَلَاةُ الْعَصْرِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مَرْوِيٌّ نَصًّا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم... وَذَكَرَ فِيهِ بَقِيَّةَ الْأَقَاوِيلِ الْعَشَرَةِ الَّتِي سَرَدْنَاهَا، وَزَادَ سَبْعَةَ أَقَاوِيلَ... فَإِنْ ثَبَتَ هَذَا الْقَوْلُ فَيَكُونُ تَمَامَ سَبْعَةَ عَشَرَ قَوْلًا، وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نُعَوِّلَ عَلَيْهِ مِنْهَا هُوَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم، وَهُوَ: أَنَّهَا صَلَاةُ الْعَصْرِ" (٢)، ولجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) "اليد البسطىٰ في تعيين الصلاة الوسطىٰ" قال فيه: اختلف فيها علىٰ عشرين قولا... واختار أنها الظهر(٣)، فَتَمَسَّكَ قَوْمٌ بِأَنَّ الْعَطْفَ يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ فَتَكُونُ صَلَاةُ الْعَصْرِ غَيْرَ الْوُسْطَىٰ(٤).

وإذا كان الأكثرون علىٰ أنها صلاة العصر لورود ذلك في السنة الصحيحة، فإنه قد ورد في السنة الصحيحة أيضا ما يؤيد أنها صلاة الظهر، فـ "عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي صَلَاةً أَشَدَّ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهَا، فَنَزَلَتْ ﴿حَٰفِظُواْ

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٦/ ٤٨٣.
(٢) البحر المحيط ٢/ ٥٤٦.
(٣) كشف الظنون ٢/ ٢٠٥٠.
(٤) فتح الباري ٨/ ١٩٧.

عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[البقرة: ٢٣٨] وَقَالَ: «إِنَّ قَبْلَهَا صَلَاتَيْنِ، وَبَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ»[(١)].

ووَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ من القراءة أَنَّهَا عَطَفَتْ صَلَاةَ الْعَصْرِ عَلَىٰ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ، وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ قَبْلَ الْمَعْطُوفِ، وَالَّتِي قَبْلَ الْعَصْرِ هِيَ الظُّهْرُ[(٢)].

والقول بأَنَّهَا صَلَاةُ الصُّبْحِ، قَوْلُ عَلِيٍّ، وَعُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَأَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، وَمِنَ التَّابِعِينَ قَوْلُ طاووس، وَعَطَاءٍ، وَعِكْرِمَةَ وَمُجَاهِدٍ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ رحمه الله[(٣)]، وَمَعَ وجود الِاحْتِمَالِ لَا يَنْهَضُ الِاسْتِدْلَالُ.

وقد جمع البقاعي(ت٨٨٥ هـ) بين القول بأنها صلاة العصر والقول بأنها صلاة الصبح، فقال: " {والصلاة الوسطىٰ} أي خصوصاً فإنها أفضل الصلوات... وذكرها بالوصف إبهاماً ليشمل الوسطىٰ الخاصة بهذه الأمة وهي العصر التي لم تصح لغيرها من الأمم، ولينتظم الوسطىٰ العامة لجميع الأمم ولهذه الأمة التي هي الصبح، ولذلك اتسع لموضع أخذها بالوصف مجال العلماء فيها ثم تعدت أنظارهم إلىٰ جميعها لموقع الإبهام في ذكرها حتىٰ تتأكد المحافظة في الجميع بوجه ما، وفي قراءة عائشة ـ رضي الله عنها ـ (وصلاة العصر) عطفاً ما يشعر بظاهر العطف باختصاص الوسطىٰ بالصبح علىٰ ما رآه بعض العلماء، وفيه مساغ لمرجعه علىٰ {الصلاة الوسطىٰ} بنفسها ليكون عطف أوصاف، وتكون تسميتها بالعصر مدحة

(١) سنن أبي داود (١/ ١١٢/ ٤١١) وقال الألباني: صحيح، وقوله (يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ) : أَيْ. شِدَّةِ الْحَرِّ يَعْنِي بَعْدَ نِصْفِ النَّهَارِ، وَقِيلَ أَيْ: فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ (مرقاة المفاتيح ٢/ ٥٢٦).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٦/ ٤٨٦.

(٣) مفاتيح الغيب ٦/ ٤٨٤.

ووصفًا من حيث إن العصر خلاصة الزمان كما أن عصارات الأشياء خلاصاتها... فعصر اليوم هو خلاصة لسلامته من وهج الهاجرة وغسق الليل، ولتوسط الأحوال والأبدان والأنفس بين حاجتي الغداء والعشاء التي هي مشغلتهم بحاجة الغذاء "[1].

ب ـ قال السهيلي: " ومما احتجوا به ـ أيضا ـ قوله ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] في قراءة من نصب، أي ومن بعد إسحاق يعقوب، فكيف يبشر بإسحاق وأنه يلد يعقوب ثم يؤمر بذبحه؟! "[2].

تنوعت القراءات المتواترة فِي قوله تعالىٰ ﴿يَعْقُوبَ﴾ فَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَحَفْصٌ بِنَصْبِ الْبَاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِرَفْعِهَا "[3].

وهذا الذي قاله السهيلي صرح به غير واحد من المفسرين، قال الرازي(ت٦٠٦ هـ): " لَوْ كَانَ الذَّبِيحُ إِسْحَاقَ لَكَانَ الْأَمْرُ بِذَبْحِهِ إِمَّا أَنْ يَقَعَ قَبْلَ ظُهُورِ يَعْقُوبَ مِنْهُ أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمَّا بَشَّرَهَا

(١) نظم الدرر ٣/ ٣٦٤.

(٢) غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن: عبد الرحمن السهيلي ص١٥٧ ـ ١٥٨.

وقد قال قال ابن دريد (ت٣٢١ هـ): " الوراء: الْخلف ، والوراء: القدام وَهُوَ من الأضداد. وَفِي التَّنْزِيل: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف:٧٩]، قَالَ أَبُو عُبَيْدَة(ت٢١٠ هـ): أمامهم ـ وَالله أعلم ـ قَالَ الشَّاعِر :

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوانَ سَمْعي وطاعَتي وقَوْمِي تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرائيا؟

أَي أَمَامِي. وَفسّر الْمُفَسِّرُونَ فِي الوراء أَنه ولد الْوَلَد فِي قَوْله عز وجل: ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١] " (جمهرة اللغة (١/ ٢٣٦)).

(٣) النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٩٠.

بِإِسْحَاقَ، وَبَشَّرَهَا مَعَهُ بِأَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْهُ يَعْقُوبُ فَقَبْلَ ظُهُورِ يَعْقُوبَ مِنْهُ لَمْ يَجُزِ الْأَمْرُ بِذَبْحِهِ، وَإِلَّا حَصَلَ الخلف في قوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، وَالثَّانِي بَاطِلٌ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ الِابْنَ لَمَّا قَدَرَ عَلَىٰ السَّعْيِ وَوَصَلَ إِلَىٰ حَدِّ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ الْفِعْلِ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِهِ، وَذَلِكَ يُنَافِي وُقُوعَ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي زَمَانٍ آخَرَ، فَثَبَتَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الذَّبِيحُ هُوَ إِسْحَاقَ "[1].

وقال أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥ هـ): " وَمِنْ أَقْوَىٰ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ بِإِسْحَاقَ، وَوَلَدَ إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ. فَلَوْ كَانَ الذَّبِيحُ إِسْحَاقَ، لَكَانَ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ، وَهُوَ مُحَالٌ فِي إِخْبَارِ اللهِ تَعَالَىٰ "[2].

إلا أنّ أبا القاسم السهيلي أجاب عن هذه الحجة من الناحية التركيبية بقوله: " إنّ هذا الاحتجاج باطل من طريق النحو؛ لأن ﴿يَعْقُوبَ﴾ ليس مخفوضا عطفا علىٰ ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾، ولو كان كذلك لقال: ومن وراء إسحاق بيعقوب؛ لأنك إذا فصلت بين واو العطف وبين المخفوض بجار ومجرور لم يجز القول: مر بزيد وبعده عمرو، إلا أن تقول: وبعده بعمرو، فإذا بطل أن يكون ﴿يَعْقُوبَ﴾ مخفوضا ثبت أنه منصوب بفعل مضمر، تقديره: ووهبنا له يعقوب، فبطل ما يزعمون به وثبت ما قدمناه "[3].

ومعنىٰ ذلك أنّ السهيلي وجّه قراءة النصب بوجهين:

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٤٧.

(٢) البحر المحيط ٩/ ١١٩.

(٣) غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن١٥٨.

الأول: أن قوله ﴿يَعْقُوبَ﴾ في موضع جر علىٰ العطف علىٰ قوله﴿بِإِسْحَٰقَ﴾، كأنه قيل: فبشرناها بإسحاق ويعقوبَ، إلا أنهُ قد رَدّ هذا الوجه تركيبيا، جاء في تهذيب اللغة للأزهري(ت٣٧٠ هـ): " فَمن رفَعَ فَالْمَعْنىٰ: وَمن وَرَاء إِسْحَاق يعقوبُ مبشَّر بِهِ. وَمن فتح ﴿يَعْقُوبَ﴾ فَإِن أَبَا زيد(ت٢١٥ هـ) والأخفش(ت٢١٥ هـ) زعما أَنه مَنْصُوب وَهُوَ مَوضِع الْخَفْض، عطفا علىٰ قَوْله ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾، والْمَعْنىٰ: فبشرناها بِإِسْحَاق وَمن وَرَاء إِسْحَاق بِيعقوبَ. قلت: وَهَذَا غير جَائِز عِنْد حذاق النَّحْوِيين من البَصريين والكوفيين "[1]، **وهاك أقوال بعضهم:**

* ـ قَالَ سِيبَوَيْهِ(ت١٨٠ هـ): " لو قال: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ أَوَّلَ مِنْ أَمْسِ وَأَمْسِ عَمْرٍو كَانَ قَبِيحًا خَبِيثًا؛ لأنه فصل بين المجرور والحرف الذي يشركه وهو الواو في الجار، كما أَنَّه لو فصل بين الجار والمجرور كان قبيحاً، فكذلك الحروف التي تدخله في الجار، لأنه صار كأنَّ بعده حرف جر، فكأنك قلت: وبكذا "[2].
* ـ وقَالَ الْفَرَّاءُ(ت٢٠٧ هـ): ولا يَجوز الخفض إلا بإظهار الباء[3].
* ـ وقال ابن جني(ت٣٩٢ هـ): "وأما قوله:

يَوْمًا تَرَاهَا كَمِثْلِ أَرْدِيَةِ الْ عَصْبِ وَيَوْمًا أَدِيمَهَا نَغِلًا[4]

(١) تهذيب اللغة (ع ق ب) ١/ ١٨٣.

(٢) الكتاب لسيبويه ٣/ ٥٠٢.

(٣) معاني القرآن للفراء٢/ ٢٢ والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٦٩.

(٤) البيت من المنسرح للأعشىٰ في ديوانه ص ٢٨٣، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٢٤، ومقاييس اللغة (خ م س) ٢/ ٢١٨ . والنَّغَلُ: الإفسادُ بَيْنَ الْقَوْمِ والنَّميمةُ، وَاسْتَشْهَدَ الأَزهري بِهَذَا الْبَيْتِ عَلَىٰ قَوْلِهِ نَغِلَ وجهُ الأَرض إِذا تهشَّم مِنَ الجُدوبة، وأَدِيمُ كُلِّ شَيْءٍ: ظاهِرُ جلْدِه. وأَدَمَةُ الأَرض: وجهُها؛ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَرُبَّمَا سُمِّيَ وجْهُ

فإنه أراد: تراها يومًا كمثل أردية العصب، وأديمها يومًا آخر نغلا، ففصل بالظرف بين حرف العطف والمعطوف به علىٰ المنصوب من قبله، وهو (ها) من تراها، وهذا أسهل من قراءة من قرأ ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[هود: ٧١] إذا جعلت ﴿يَعْقُوبَ﴾ في موضع جر، وعليه تلقّاه القوم من أنه مجرور الموضع، وإنما كانت الآية أصعب مأخذًا من قِبَل أنَّ حرف العطف منها الذي هو الواو ناب عن الجار الذي هو الباء في قوله ﴿بِإِسْحَاقَ﴾، وأقوىٰ أحوال حرف العطف أن يكون في قوة العامل قبله، وأن يلي من العمل ما كان الأول يليه، والجار لا يجوز فصله من مجروره، وهو في الآية قد فُصِل بين الواو و﴿يَعْقُوبَ﴾ بقوله: ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ﴾ والفصل بين الجار ومجروره لا يجوز، وهو أقبح منه بين المضاف والمضاف إليه»[(١)].

ـ وقال أبو حيان(ت٧٤٥ هـ): " وَمَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ أَنَّهُ مَجْرُورٌ مَعْطُوفٌ عَلَىٰ لَفْظِ ﴿بِإِسْحَاقَ﴾، أَوْ عَلَىٰ مَوْضِعِهِ، فَقَوْلُهُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْفَصْلُ بِالظَّرْفِ أَوِ الْمَجْرُورِ بَيْنَ حَرْفِ الْعَطْفِ وَمَعْطُوفِهِ الْمَجْرُورِ، لَا يَجُوزُ مَرَرْتُ بِزَيْدٍ الْيَوْمَ وَأَمْسَ عَمْرٍو، فَإِنْ جَاءَ فَفِي شِعْرٍ. فَإِنْ كَانَ الْمَعْطُوفُ مَنْصُوبًا أَوْ مَرْفُوعًا، فَفِي جَوَازِ ذَلِكَ خِلَافٌ نَحْوَ: قَامَ زَيْدٌ وَالْيَوْمَ عَمْرٌو، وَضَرَبْتُ زَيْدًا وَالْيَوْمَ عَمْرًا "[(٢)].

الأَرض أَديمًا، ويروىٰ: أردية الخِمْس، والخِمْسُ: ضَرْبٌ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ، يريد أن الأرض في أيام الربيع تزدان بالنبات والأزهار، وفي غيره يجف أديمها ويبس.

(١) الخصائص ٢/ ٣٩٧.

(٢) البحر المحيط ٦/ ١٨٣.

ـ وقال ابن هشام (ت: ٧٦١ هـ): " وَقيل هُوَ مجرور عطفا علىٰ ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾ أَو مَنْصُوب عطفا علىٰ مَحَله، وَيرد الأول أَنه لَا يجوز الْفَصْل بَين العاطف والمعطوف علىٰ الْمَجْرُور كـ "مررت بزيد وَالْيَوْم عَمْرو" "[1].

ويرىٰ ابن عاشور(ت١٣٩٣ هـ) أن الفصلَ بَيْنَ حَرْفِ الْعَطْفِ وَالْمَعْطُوفِ بِالظَّرْفِ خَطْبُهُ سَهْلٌ وَإِنِ اسْتَعْظَمَهُ ظَاهِرِيَّةُ النُّحَاةِ كَأَبِي حَيَّانَ(ت٧٤٥ هـ) بِقِيَاسِ حَرْفِ الْعَطْفِ النَّائِبِ هُنَا مَنَابَ الْجَارِّ عَلَىٰ الْجَارِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ قِيَاسٌ ضَعِيفٌ؛ إِذْ كَوْنُ لَفْظٍ بِمَعْنَىٰ لَفْظٍ لَا يَقْتَضِي إِعْطَاءَهُ جَمِيعَ أَحْكَامِهِ [2].

الثاني: أن قوله ﴿يَعْقُوبَ﴾ منصوب بفعل مضمر، تقديره: ووهبنا له يعقوب، والسياق القرآني يؤيد هذا فإن الله تعالىٰ قال في موضع آخر ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾[الأنبياء: ٧٢].

قال ابن جني(ت٣٩٢ هـ): " والأحسن عندي في ﴿يَعْقُوبَ﴾ من قوله -عز اسمه: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فيمن فتح أن يكون في موضع نصب بفعل مضمر دلَّ عليه قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: ٧١] أي: وآتيناها يعقوب، فإذا فعلت ذلك لم يكن فيه فصل بين الجار والمجرور "[3].

وقال الرازي(ت٦٠٦ هـ): " أَمَّا وَجْهُ النَّصْبِ، فَهُوَ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: بَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ وَهَبْنَا لَهَا يَعْقُوبَ "[4].

---

(١) مغني اللبيب ص٦٢٢.

(٢) التحرير والتنوير ١٢/ ١٢٠.

(٣) الخصائص ٢/ ٣٩٩.

(٤) مفاتيح الغيب ١٨/ ٣٧٤.

وقال أبو حيان (ت٧٤٥ هـ): " وَالْأَظْهَرُ أَنْ يَنْتَصِبَ ﴿يَعْقُوبَ﴾ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ تَقْدِيرُهُ: وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ وَهَبْنَا يَعْقُوبَ، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾، لِأَنَّ الْبِشَارَةَ فِي مَعْنَىٰ الْهِبَةِ، وَرَجَّحَ هَذَا الْوَجْهَ أَبُو عَلِيٍّ(ت٣٧٧ هـ) [1].

وأما قراءة الرَّفْعِ فعَلَىٰ مَعْنَىٰ: وَيَحْدُثُ لَهَا مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ بِالْفِعْلِ الَّذِي يَعْمَلُ فِي(مِنْ) كَأَنَّ الْمَعْنَىٰ: وَثَبَتَ لَهَا مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، وَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ بَشَّرُوهَا بِإِسْحَاقَ مُقَابِلًا لَهُ يَعْقُوبُ[2]، وَقَدَّرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ(ت٥٣٨ هـ) مَوْلُودٌ أَوْ مَوْجُودٌ[3]. قَالَ النَّحَّاسُ(ت٣٣٨ هـ): وَالْجُمْلَةُ حَالٌ دَاخِلَةٌ فِي البشارة أي: فبشرناها بإسحاق مُتَّصِلًا بِهِ يَعْقُوبُ، وأما علىٰ القول بأنه فاعل بِإِضْمَارِ فِعْلٍ تَقْدِيرُهُ: وَيَحْدُثُ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يعقوب. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ(ت٥٤٢ هـ): وَعَلَىٰ هَذَا لَا تَدْخُلُ الْبِشَارَةُ، وَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ تَكَلُّفِ الْقَطْعِ وَالْعُدُولِ عَنِ الظَّاهِرِ الْمُقْتَضِي لِلدُّخُولِ فِي الْبِشَارَةِ[4].

ويترتب علىٰ هذا التنوع القرائي تنوع في الوقف والابتداء، فمن قرأ ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ بالرفع وقف علىٰ قوله ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ لأن ﴿يَعْقُوبَ﴾ مرفوع بالابتداء والخبر في ما قبله. ومن نصب ﴿يَعْقُوبَ﴾ لم يقف علىٰ ذلك، لأن ﴿يَعْقُوبَ﴾ متعلق بقوله ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ من جهة

(١) البحر المحيط ٦/ ١٨٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٦٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٤١١ .
(٤) البحر المحيط ٦/ ١٨٣.

الدلالة علىٰ الفعل العامل في ﴿يَعْقُوبَ﴾ لا من جهة دخوله مع ﴿إِسْحَٰقَ﴾ في البشارة، والتقدير: فبشرناها بإسحاق ووهبنا له يعقوب من ورائه، لأن البشارة دالة علىٰ الهبة[1].

وما ذهب إليه السهيلي مرجوح، والراجح أن الذبيح إسماعيل ـ عليه السلام ـ، قال النووي(ت٦٧٦ هـ): "واختلف العلماء في الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق؟ والأكثرون علىٰ أنه إسماعيل، وكان إسماعيل أكبر من إسحاق" [2].

وقال ابن القيم (ت٧٥١ هـ): "وَإِسْمَاعِيلُ: هُوَ الذَّبِيحُ عَلَىٰ الْقَوْلِ الصَّوَابِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ إِسْحَاقُ فَبَاطِلٌ بِأَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا، وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ(ت٧٢٨ هـ) -قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ- يَقُولُ: هَذَا الْقَوْلُ إِنَّمَا هُوَ مُتَلَقًّىٰ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ[3]" [1].

---

(١) المكتفىٰ في الوقف والابتدا ص ١٠٠.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١١٦.

(٣) قال علي بْن زُرَيْق الْكَاتِب : حضرت مجْلِس القُتَبيّ صَاحب بَيت حِكْمَة الْمَأْمُون (١٧٠ - ٢١٨ هـ) وَعِنْده فتيَان أَرْبَعَة قد نظرُوا فِي الْأَخْبَار، وَرووا الْأَشْعَار، وتأدبوا بفنون الْآدَاب، وكل فَتىٰ مِنْهُم ينتمي إِلَىٰ جنس وَيَقُول بتفضيله، فَقَالَ القتبي ـ وَقد طَال بهم المراء ـ ليقل كل وَاحِد مِنْكُم فِي مَجْلِسه بَيْتي شعر فِي فضل قومه، فَقَالَ المنتمي إِلَىٰ الْفرس:

نَحنُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوك لنا ... علمُ السياسةِ وَالتَّدْبِيرُ والكُتبُ

وَنحنُ من نسل إِسْحَاقَ الذَّبِيحِ وَفِي ... مجد النَّبِيين ظِلّ الْمجد والحسَبُ

وَقَالَ المنتمي إِلَىٰ الْعَرَب:

وقال ابن كثير (ت٧٧٤ هـ): "وَقَدِ اعْتَرَضَ السُّهَيْلِيُّ عَلَىٰ هَذَا الِاسْتِدْلَالِ بما حاصله أن قوله ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: ٧١] جُمْلَةٌ تَامَّةٌ وَقَوْلَهُ ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] جُمْلَةٌ أُخْرَىٰ لَيْسَتْ فِي حَيِّزِ الْبِشَارَةِ، قَالَ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ مِنْ حَيْثُ الْعَرَبِيَّةُ أَنْ يَكُونَ مَخْفُوضًا إِلَّا أَنْ يُعَادَ مَعَهُ حَرْفُ الْجَرِّ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ مَرَرْتُ بِزَيْدٍ ومن هو بعده عمرو حتىٰ يقال ومن بعده بعمر، وقال فقوله ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: ووهبنا لإسحق يَعْقُوبَ، وَفِي هَذَا الَّذِي قَالَهُ نَظَرٌ.

وَرَجَّحَ أَنَّهُ إِسْحَاقُ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: ١٠٢] قَالَ وَإِسْمَاعِيلُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِنَّمَا كَانَ فِي حَالِ صِغَرِهِ هُوَ وَأُمُّهُ بِحِيَالِ مَكَّةَ فَكَيْفَ يَبْلُغُ مَعَهُ السَّعْيَ، وَهَذَا أَيْضًا فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّ الْخَلِيلَ كَانَ يَذْهَبُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ رَاكِبًا الْبُرَاقَ إِلَىٰ مَكَّةَ يَطَّلِعُ عَلَىٰ وَلَدِهِ وَابْنِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - (٢).

فِينَا الشَّجَاعَةُ طبعٌ والسخاءُ كَمَا ... فِينَا الدهاءُ وَفينَا الظَّرْفُ وَالْأَدبُ

وَنحنُ من نسْل إِسْمَاعِيل قاطبةً ... لَا يُنكر النَّاس قولي حِين أنتسِبُ

وَقَالَ المنتمي إِلَىٰ الرّوم:

الرّوم قومٌ لَهُم حِلم وتَجْربةٌ ... وَحسنُ خُلْقٍ وَعلمٌ بارعٌ عجَبُ

وهم بَنُو الْعِيص والأملاكِ لا كذبٌ ... ولُبْسُهمْ شُقَقُ الدِّيباج وَالذّهَبُ

وَقَالَ المنتمي إِلَىٰ التّرْك:

التّرْك لم يُمْلَكُوا فِي دَار مُلكِهِمُ ... وَالْفرسُ قد مُلِكُوا وَالرومُ وَالْعربُ

هَذَا لعمرُك فضلٌ لَيْسَ يجْحَدُه ... إِلَّا حسودٌ عنيدٌ مَا لَهُ أدبُ

قَالَ عَلِيّ بْن زُرَيْق : فعجبت من افتخار التركي عَلَيْهِم.(طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ٣١٢).

(١) زاد المعاد ١/ ٧١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٨٣.

ويؤيد ذلك ما يأتي:

*- أَنَّهُ - سبحانه وتعالىٰ - لَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ الذَّبِيحِ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي سورة الصافات، وَفِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ يَذْكُرُ الْبِشَارَةَ بِإِسْحَاقَ خَاصَّةً كَمَا فِي سُورَةِ هُودٍ مِنْ قَوْله تَعَالَىٰ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْحِجْرِ: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٥] وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ الذَّبِيحُ ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ الْبِشَارَتَيْنِ جَمِيعًا: الْبِشَارَةُ بِالذَّبِيحِ وَالْبِشَارَةُ بِإِسْحَاقَ بَعْده كَانَ هَذَا مِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ إسْحَاقَ لَيْسَ هُوَ الذَّبِيحَ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّهُ ذَكَرَ هِبَتَهُ وَهِبَةَ يَعْقُوبَ لِإِبْرَاهِيمَ فِي قوله تعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢] وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] وَلَمْ يَذْكُرْ اللهُ الذَّبِيحَ[1].

*- أَنَّ الْقُرْآنَ صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللهَ لَمَّا بَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ بِإِسْحَاقَ قَرَنَ تِلْكَ الْبِشَارَةَ بِأَنَّهُ يُولَدُ لِإِسْحَاقَ يَعْقُوبُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وَكَانَ ذَلِكَ بِمَحْضَرِ إِبْرَاهِيمَ فَلَوِ ابْتَلَاهُ اللهُ بِذَبْحِ إِسْحَاقَ لَكَانَ الِابْتِلَاءُ صُورِيًّا؛ لِأَنَّهُ وَاثِقٌ بِأَنَّ إِسْحَاقَ يَعِيشُ حَتَّىٰ يُولَدَ لَهُ

(١) مجموع الفتاوىٰ ٤/ ٣٣٣.

يَعْقُوبُ لِأَنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَلَمَّا بَشَّرَهُ بِإِسْمَاعِيلَ لَمْ يَعِدْهُ بِأَنَّهُ سَيُولَدُ لَهُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا تَوْطِئَةٌ لِابْتِلَائِهِ بِذَبْحِهِ(١).

ـ وَسَأَلَ الْأَصْمَعِيُّ (ت٢١٦ هـ) أَبَا عَمْرِو بْنَ الْعَلَاءِ(ت١٥٤ هـ) عَنِ الذَّبِيحِ فَقَالَ: يَا أَصْمَعِيُّ، أَيْنَ عَزَبَ عَنْكَ عَقْلُكَ؟ وَمَتَىٰ كَانَ إِسْحَاقُ بِمَكَّةَ؟ وَهُوَ الَّذِي بَنَىٰ الْبَيْتَ مَعَ أَبِيهِ، وَالْمَنْحَرُ بِمَكَّةَ؟

ـ وَوَصَفَهُ تَعَالَىٰ بِالصَّبْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وَهُوَ صَبْرُهُ عَلَىٰ الذَّبْحِ وَبِصِدْقِ الْوَعْدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾[مريم: ٥٤]، لِأَنَّهُ وَعَدَ أَبَاهُ مِنْ نَفْسِهِ الصَّبْرَ عَلَىٰ الذَّبْحِ فَوَفَّىٰ بِهِ(٢).

*** *** ***

رابعا: التنوع القرائي في الأسماء الأعجمية:

قال تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾[الصافات: ١٣٠]

قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ، ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَمَدٍّ، وَقَطْعِ اللَّامِ مِنَ الْيَاءِ وَحْدَهَا مِثْلَ آلِ يَعْقُوبَ، وَكَذَا رُسِمَتْ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، وَإِسْكَانِ اللَّامِ بَعْدَهَا وَوَصْلِهَا بِالْيَاءِ كَلِمَةً وَاحِدَةً فِي الْحَالَيْنِ.... وعَلَىٰ قِرَاءَةِ هَؤُلَاءِ لَا يَجُوزُ قَطْعُهَا فَيُوقَفُ عَلَىٰ اللَّامِ لِكَوْنِهَا مِنْ نَفْسِ الْكَلِمَةِ اتِّفَاقًا(٣).

(١) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٥٩.

(٢) البحر المحيط ٩/ ١١٩.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٦٠.

ناقش السهيلي الأقوال الواردة في قوله ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾، ذاكرا القراءات الواردة في الاسم الكريم، مبينا حجة من احتج بالقراءة المتواترة وردّ هذا الاحتجاج، فذكر الأقوال الآتية:

١ ـ "قال بعض المتكلمين في معاني القرآن: آل ياسين آل محمد ﷺ ونزع إلىٰ قول من قال في تفسير ياسين يا محمد، وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة:

أحدها: أن سياقة الكلام في قصة الياسين يلزم أن يكون كما هي في قصة إبراهيم ونوح وموسىٰ وهارون، وأن التسليم راجع إليهم، ولا معنىٰ للخروج عن مقصود الكلام لقولٍ قيل في الآية الأخرىٰ.

ـ مع ضعف ذلك القول ـ أيضا ـ فإنّ ليس ﴿حمٓ﴾ و﴿الٓمٓ﴾ ونحو ذلك القول فيها واحد.. وإنما هي حروف مقطعة إما مأخوذة من أسماء الله تعالىٰ كما قال ابن عباس، وإما من صفات القرآن، وإما كما قال الشعبي (١٩ – ١٠٣ هـ): لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن فواتح السور[(١)].

ـ وأيضا فإن رسول الله ﷺ قال: " لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ "[(٢)]، ولم يذكر فيها ياسين.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٧٣ وعزي إلىٰ بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وفيه: قَالَ الشَّعْبِيُّ إِنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ نُؤْمِنُ بِظَاهِرِهَا وَنَكِلُ الْعِلْمَ فِيهَا إِلَىٰ اللهِ عز وجل.

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٨٥/ ٣٥٣٢) وتمامه: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: " لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ " .

وهذا لا يدل علىٰ الْحصْر، وخصت هَذِه الْخَمْسَة بِالذكر في وَقت لِمَعْنىٰ مَا، إما لعلم السَّامع بِمَا سواهَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ لي خَمْسَة فاضلة معظمة، أَو شهرتها كَأَنَّهُ

ـ وأيضا فإن ياسين جاءت التلاوة فيها بالسكون والوقف، ولو كان اسما للنبي ﷺ لقال: ياسينُ بالضم، كما قال ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦]، وإذا بطل هذا القول لما ذكرناه" [(١)].

وهكذا أبطل السهيلي قول من قال إن ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ بمعنىٰ آل محمد ﷺ وأن ياسين من أسماء النبي ـ صلىٰ الله عليه وسلم، معتمدا في ذلك علىٰ سياق السورة حيث ذكرت التسليم علىٰ الأنبياء قبله، وكذا السياق اللغوي لنداء الأعلام المفردة في القرآن وأنها جاءت علىٰ البناء علىٰ الضم لا علىٰ السكون، كما اعتمد علىٰ السياق الخارجي المتمثل في الحديث النبوي الصحيح.

٢ ـ "وقال بعضهم: من قرأ ﴿آل يَاسِينَ﴾ فهو جمع مثل الأشعريين، يعني إلياس ورهطه كما تقول المَهَالِبَة أي المُهَلَّب[(٢)] وآله. وهذا أيضا لا يصح بل هي لغة في ﴿إِلْيَاسَ﴾... ولو أراد ما قالوه لأدخل الألف واللام كما تدخل في المهالبة والأشعريين، وكان يقول: سلام علىٰ الإلياسين؛ لأن العلم إذا جمع ينكر حتىٰ يعرب بالألف واللام، لا نقول سلام علىٰ زيدين، بل السلام علىٰ الزيدين بالألف واللام" [(٣)].

قَالَ لي خَمْسَة أسماء مَشْهُورَة، أَو لغير ذَلِك مِمَّا يحْتَملهُ اللَّفْظ من الْمعَانِي وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاس الْقُرْطُبِيّ: خصت هَذِه الْأَسْمَاء بِالذكر لِأَنَّهَا هِي الْمَوْجُودَة فِي الْكتب الْمُتَقَدّمَة وَأعرف عِنْد الْأُمَم السالفة، قَالَ وَيحْتَمل أَن يُقَال أَنه فِي الْوَقْت الذىٰ أخبر بِهِ لم يكن أوحىٰ إِلَيْهِ فِي ذَلِك الْوَقْت غَيرهَا (الجواهر المضية في طبقات الحنفية ١/ ٢٠).

(١) غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن ص١٥٨ .

(٢) مُهَلَّبٌ، أَي: مَهْجُوَ، والمُهَلَّبُ: اسمٌ، وَمِنْه سُمِّيَ المُهَلَّبُ بنُ أَبي صُفْرَةَ الأَزْدِيّ العَتَكِيُّ الفارسُ الشّاعِرُ الأَميرُ أَبو المَهَالِبَةِ الأُمَراءِ والمُحَدِّثينَ (تاج العروس: هـ ل ب).

(٣) غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن ص١٥٩ .

٣ ـ "ياسين هو آل ياسين المذكور، وعليه وقع التسليم، ولكنه اسم أعجمي، والعرب تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية، ويكثر تغييرهم لها، قال ابن جني(ت: ٣٩٢هـ): العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبا، ياسين وإلياس وإلياسين شيء واحد... فإلياس ـ عليه السلام ـ فيه ثلاث لغات كما ذكرنا" (١).

وأما عن توجيه قراءة الجمع فقال النَّحَّاسُ(ت٣٣٨ هـ): « فمن قرأ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ ءَالِ يَاسِينَ﴾ كأنه والله أعلم جعل اسمه «الياس» و" ياسين "ثم سلّم علىٰ آله أي أهل دينه ومن كان علىٰ مذهبه، وعلم أنه إذا سلم علىٰ آله من أجله فهو داخل في السلام، كما قال النبي ﷺ «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ أَبِي أَوْفَىٰ»(٢)، وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] »(٣)، وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣ هـ): «وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ إِلْ يَاسِينَ بِهَمْزَةٍ بَعْدَهَا أَلِفٌ عَلَىٰ أَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ إِلْ و(يَاسِينَ). وَقَرَأَهُ الْبَاقُونَ بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ دُونَ أَلِفٍ بَعْدَهَا وَبِإِسْكَانِ اللَّامِ عَلَىٰ أَنَّهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ اسْمُ إِلْيَاسَ وَهِيَ مَرْسُومَةٌ فِي الْمَصَاحِفِ كُلِّهَا عَلَىٰ قِطْعَتَيْنِ إِلْ يَاسِينَ وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ لِأَنَّ آلَ قَدْ تُرْسَمُ مَفْصُولَةً عَنْ مَدْخُولِهَا. وَالْأَظْهَرُ أَن الْمُرَاد بآل يَاسِينَ أَنْصَارُهُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَأَعَانُوهُ » (٤).

---

(١) السابق .

(٢) صحيح البخاري (٢/ ١٢٩/ ١٤٩٧) وتمامه: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ فُلاَنٍ»، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ أَبِي أَوْفَىٰ».

(٣) إعراب القرآن للنحاس٣/ ٢٩٥ والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١١٨.

(٤) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٧٠.

وتكون القراءتان قد تضمنتا التسليم عليه وعلىٰ آله، وقيل: أريد بآله نفسه، وقيل: سلم عليهم من أجله تنبيها علىٰ استحقاقهم لذلك؛ لعدم شهرتهم بخلاف آل باقي الأنبياء المسلم عليهم في هذه السورة،.. وقيل: ياسين اسم أبي إلياس أضيف الآل إليه فدخل إلياس فيهم[1].

* ـ والسهيلي بهذا يرىٰ أن هذا التنوع القرائي من قبيل اللغات، ذلك أن" لِلْعَرَبِ فِي النُّطْقِ بِالْأَسْمَاءِ الْأَعْجَمِيَّةِ تَصَرُّفَات كَثِيرَة؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ لُغَتِهِمْ، فَهُمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي النُّطْقِ بِهِ عَلَىٰ مَا يُنَاسِبُ أَبْنِيَةَ كَلَامِهِمْ "[2]، قال الفراء (ت٢٠٧ هـ): إن إلياس اسم أعجمي والأسماء الأعجمية إذا وقعت إلىٰ العرب غيّرتها بضروب من التغيير فيقولون إبراهيم وإبراهام هكذا أيضا سيناء وسنين وإلياس وإلياسين ويس في قراءة «سلام علىٰ آل ياسين» بمعنىٰ واحد[3]، وقال أبو علي الفارسي(ت٣٧٧ هـ) وأبو الفتح(ت٣٩٢ هـ): العرب إذا نطقت بالأعجمي خلَّطت فيه[4]، وقال أبو الفتح(ت٣٩٢ هـ) ـ أيضا ـ: وإذا جاز للعرب أن تخلِّط في العربي وهو من لغتها، فكيف يكون -ليت شعري- فيما ليس من لغتها؟! [5]، وقال القرطبي(ت٦٧١ هـ): " الْمُرَادُ إِلْيَاسُ عليه السلام، وَعَلَيْهِ وَقَعَ التَّسْلِيمُ وَلَكِنَّهُ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ. وَالْعَرَبُ تَضْطَرِبُ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْأَعْجَمِيَّةِ وَيَكْثُرُ تَغْيِيرُهُمْ لَهَا....، فياسين وإلياس وإلياسين شيء وَاحِدٌ "[6].

---

(١) إبراز المعاني ٦٦٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٦٧ .

(٣) معاني الفراء ٢/ ٣٩١وإعراب القرآن للنحاس٣/ ٢٩٥ .

(٤) المحتسب ١/ ٨٠ و٩٧ .

(٥) السابق ١/ ٨٠ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١١٨.

ولعل هذا الذي ذهب إليه السهيلي هو الأقرب إلىٰ الصواب للأسباب الآتية:

١ ـ أَنَّهُ أَلْيَقُ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ[(١)]، لأنه ليس في السورة «سلام علىٰ آل» لغيره من الأنبياء ﷺ وكما سمّي الأنبياء، كذا سمي هو[(٢)]، قال ابن إدريس (ق٤ هـ): " ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ دخلت الياء والنون زائدتين للمبالغة، وإنما كانت هذه القراءة هي المختارة لشهادة التنزيل لها، وهو أن الله تعالىٰ سلَّم علىٰ كل شيء ذكره في هذه السورة، ولم يُسلم علىٰ آله، ألا ترىٰ إلىٰ قوله ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات: ١٢٠] "[(٣)].

٢ ـ السياق اللاحق يدل علىٰ أنه اسم مفرد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الصافات: ١٣٢] ولم يقل إنهم.

٣ـ قَالَ أحمد بن حنبل (ت٢٤١ هـ): سمعنَا أَن سِتَّة من الْأَنْبِيَاء لَهُم فِي الْقُرْآن اسمانِ: مُحَمَّد وَأحمد، إِبْرَاهِيم وإبراهام، وَيَعْقُوب إِسْرَائِيل، وَيُونُس ذُو النُّون، وإلياس إلياسين، وَعِيسَىٰ الْمَسِيح[(٤)].

٤ ـ قال البقاعي(ت٨٨٥ هـ): " ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾[الصافات: ١٢٣] أي الذي كان أحد بني إسرائيل عند جميع المفسرين إلا ابن مسعود

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٣٥٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس٣/ ٢٩٦ .

(٣)المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ٢/ ٧٥٢.

(٤)العلل ومعرفة الرجال : أحمد بن حنبل ٣/ ٤٠٦ تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني ، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠١ م .

وعكرمة[1]، وهو من سبط لاوي، ومن أولاد هارون عليه السلام، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو عم اليسع عليهم السلام، وأرسلناه إلىٰ من كان منهم في أرض بعلبك ونواحيها، فلما لم يرجعوا إليه نزعنا عنه الشهوات الإنسانية وخلقناه بالأوصاف الملكية، ولا يبعد أن يكون الداعي إلىٰ تسميته بهذا الاسم ما سبق في علم الله أنه ييأس ممن يدعوهم إلىٰ الله فيكون ممن يأتي يوم القيامة وما معه إلا الواحد أو الاثنان كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم...: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»[2]، فجعل سبحانه اسمه مناسبًا لأمره في قومه بيأسه منهم حين فر إلىٰ الجبال من شرهم، ويأسهم من القدرة علىٰ قتله، فإنهم اجتهدوا في ذلك حتىٰ أعياهم، وأدل دليل علىٰ هذا المعنىٰ قراءة ابن عامر بخلاف عنه بوصل الهمزة في الدرج وفتحها في الابتداء[3]، وإن قال العلماء كما حكاه السمين في إعرابه[4]: إن ذلك من تلاعب العرب بالأسماء العجمية، قطعوا همزته تارة ووصلوها أخرىٰ[5].

وتعليل التسمية الذي ذكره البقاعي أحد أقوال ثلاثة أوردتها المعاجم اللغوية، جاء في معجم تاج العروس: "إلْياسُ ـ بالكَسْر ـ وَالْفَتْح، وَبِه قرأَ

(١)جاء في صحيح البخاري (٤/ ١٣٥): يُذْكَرُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ إِلْيَاسَ هُوَ إِدْرِيسُ .

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٩٩/ ٢٢٠) .

(٣) قرأ ابن عامر بخلاف عنه ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ ﴾ بوصل الهمزة، وإذا ابتدأ فتحها، والباقون بقطعها مكسورة (تقريب النشر في القراءات العشر ٢/ ٦٦١) .

(٤) الدر المصون ٩/ ٣٢٦ .

(٥) نظم الدرر ١٦/ ٢٨٣.

الأَعرجُ ونُبيح وأَبو وَاقِدٍ والجَرَّاحُ[١]: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ [الصافات: ١٢٣]عَلَمٌ أَعْجَمِيٌّ،... لا ينصرفُ للعُجْمَة والتَّعريف. قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣] وَقَالَ الجَوْهَرِيّ(ت٣٩٢ هـ): اسمٌ أَعجَمِيٌّ. قَالَ شيخُنا[٢]: هُوَ فِعْيال من الأَلْس وَهُوَ اخْتلاطُ العقل، وَقيل: هُوَ إفعال من لَيْسَ، يُقَال: رجلٌ أَلْيَسُ، أَي شُجاعٌ لا يَفِرُّ، أَو أَخذوه من ضِدّ الرَّجاءِ ومَدُّوه" [٣].

وقال البقاعي(ت٨٨٥ هـ): "{سلام} ولما كان في اسمه علىٰ حسب تخفيف العرب له لغات إحداهما توافق الفواصل، فكان لا فرق في تأدية المعنىٰ بين الإتيان بما اتفق منها، وكان ما كثرت حروفه منها أضخم وأجل وأفخم، وكان السياق بعد كثير من مناقبه لنهاية المدحة، كان الأحسن التعبير بما هو أكثر حروفًا وهو موافق للفواصل ليفيد ذلك تمكينه في الفضائل ولتحقق أنه اسم أعجمي لا عربي مشتق من الياس، وإن أوهمت ذلك قراءة ابن عامر بوصل همزته فقال: {علىٰ آل ياسين} ومن قرأ {آل ياسين} فيجوز أن يكون المراد في قراءته ما أريد من القراءة الأخرىٰ لأن أهل اللغة قالوا: أن الآل هو الشخص نفسه، ويس إما لغة في إلياس أو اختصرت اللغة الثانية التي هي إلياسين فحذف منها الهمزة المكسورة مع اللام، ويجوز أن يكون المراد بآله أتباعه، ويكون ذلك أضخم في حقه لما تقدم مما يدعو إليه السياق، ويجوز أن يقصد بهذه القراءة جميع الأنبياء المذكورين في هذه السورة الذين هو أحدهم، أي علىٰ الأنبياء المذكورين

(١) ينظر: المغني في القراءات ٤/ ١٥٦٩ .

(٢)الإمَام اللغويّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن الطّيِّب بن مُحَمَّد الفاسيّ(١١١٠ ـ ١١٧٠ هـ) .

(٣) تاج العروس (أ ل س).

عقب سورة يس دلالة علىٰ ما دعت إليه معانيها من الوحدانية والرسالة والبعث وإذلال العاصي وإعزاز الطائع المجرد لنفسه في حب مولاه عن جميع العوائق، القاطع للطيران إليه أقوىٰ العلائق، وخص بهذا هذه القصة لأنها ختام القصص المسلم فيها علىٰ أهلها" [(١)]، فيكون اسمه جاء في القرآن بأربع لغات[(٢)].

*** *** ***

خامسا: توظيف القراءات لغويا في تصحيح المعنى:

قال تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢﴾[قريش]

اخْتَلَف العشرة فِي قوله ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ فَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِغَيْرِ يَاءٍ بَعْدَ الْهَمْزَةِ، مِثْلَ لِعِلَافٍ، مَصْدَرُ أَلِفَ ثُلَاثِيًّا، يُقَالُ: أَلِفَ الرَّجُلُ إِلْفًا وَإِلَافًا، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا أَبْدَلَ الثَّانِيَةَ يَاءً حَذَفَ الْأُولَىٰ حَذْفًا عَلَىٰ غَيْرِ قِيَاسٍ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ عِنْدَهُ ثُلَاثِيًّا كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ، ثُمَّ خُفِّفَ كَإِبِلٍ، ثُمَّ أُبْدِلَ عَلَىٰ أَصْلِهِ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ قِرَاءَتُهُ الْحَرْفَ الثَّانِيَ كَذَلِكَ... وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ. وَاخْتَلَفُوا فِي: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ فَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ مِنْ غَيْرِ يَاءٍ... وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْهَمْزَةِ وَيَاءٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَهَا [(٣)].

* ـ وقد وظّف السهيلي قراءة ابن عامر لغويا لتصحيح أحد قولين واردين في معنىٰ قوله تعالىٰ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾[قريش: ١]؛ حيث أورد رأيين أحدهما لابن هشام(ت٢١٨ هـ) صاحب السيرة،

(١) نظم الدرر ١٦/ ٢٨٦.

(٢) إبراز المعاني ٦٦٦.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢/ ٤٠٣.

والآخر للعلامة اللغوي الهروي(ت٤٠١ هـ)، أما ابن هشام فقال: "وَإِيلَافُ قُرَيْشٍ: إِيلَافُهُمْ الْخُرُوجَ إِلَىٰ الشَّامِ فِي تِجَارَتِهِمْ، وَكَانَتْ لَهُمْ خَرْجَتَانِ: خَرْجَةٌ فِي الشِّتَاءِ، وَخَرْجَةٌ فِي الصَّيْفِ. أَخْبَرَنِي أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ(ت٢١٨ هـ)، أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: أَلِفْتُ الشَّيْءَ إِلْفًا، وَآلَفْتُهُ إِيلَافًا، فِي مَعْنًىٰ وَاحِدٍ" (١).

وأما الهروي فيرىٰ أنها عُهُودٌ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ملوك العجم، قال "ابْنُ الأَعرابي(١٥٠ - ٢٣١ هـ): أَصحاب الإِيلافِ أَربعةُ إِخوةٍ: هاشمٌ وَعَبْدُ شَمْسٍ وَالْمُطَّلِبُ وَنَوْفَلٌ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانُوا يُؤَلِّفُون الجِوارَ يُتْبِعُون بعضَه بَعْضًا يُجِيرون قُرَيْشًا بمِيَرِهِم وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ المُجِيرينَ، فأَمّا هَاشِمٌ فَإِنَّهُ أَخذ حَبْلًا مِنْ مَلِكِ الرُّوم، وأَخذ نَوْفَلٌ حَبْلًا مِنْ كِسْرىٰ، وأَخذ عَبْدُ شَمْسٍ حَبْلًا مِنَ النَّجَاشِيِّ، وَأَخذ الْمُطَّلِبُ حَبْلًا مِنْ مُلُوكِ حِمْير، قَالَ: فَكَانَ تُجّار قُرَيْشٍ يَخْتَلِفُونَ إِلَىٰ هَذِهِ الأَمصار بحِبال هؤُلاء الإِخوة فَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُمْ" (٢)، وقال صاحب الكليات:"والإيلاف فِي التَّنْزِيل لِمَعْنىٰ الْعَهْد" (٣)، وفي تاج العروس: "والإِيلاَفُ فِي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ: العَهْدُ والذِّمامُ وشِبْهُ الإِجَازَةِ بالْخُفَارَةِ، وأَوَّلُ مَن أَخَذَهَا هَاشِمُ بنُ عبدِ مَنَافٍ مِن مَلِكِ الشَّأْمِ" (٤).

قال السهيلي: "وَذَكَرَ إِيلَافَ قُرَيْشٍ لِلرِّحْلَتَيْنِ، وَقَالَ: هُوَ مَصْدَرُ ألفت الشيء وآلفته فجعله من الإلف للشيء، وَفِيهِ تَفْسِيرٌ آخَرُ أَلْيَقُ، لِأَنّ السّفَرَ قِطْعَةٌ من العذاب، ولا تألفه النفس، إنما تَأْلَفُ الدّعَةَ وَالْكَيْنُونَةَ مَعَ الْأَهْلِ.

(١)السيرة النبوية ١/ ٥٦.

(٢) لسان العرب (أ ل ف).

(٣) الكليات ص١٩.

(٤) تاج العروس (أ ل ف).

قَالَ الْهَرَوِيّ: هِيَ حِبَالٌ، أَيْ: عُهُودٌ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ملوك العجم، فكان هاشم يؤالف إلىٰ مَلِكِ الشّام، وَكَانَ الْمُطّلِبُ يُؤَالِفُ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، والآخران يؤالفان أحدهما إِلَىٰ مَلِكِ مِصْرَ، وَالْآخَرُ إِلَىٰ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وهما: عبد شمس ونوفل. قال وَمَعْنَىٰ يُؤَالِفُ: يُعَاهِدُ وَيُصَالِحُ، وَنَحْوُ هَذَا، فَيَكُونُ الْفِعْلُ مِنْهُ أَيْضًا آلَفَ عَلَىٰ وَزْنِ فَاعَلَ، وَالْمَصْدَرُ إِلَافًا بِغَيْرِ يَاءٍ مِثْلُ: قِتَالًا، وَيَكُونُ الْفِعْلُ مِنْهُ أَيْضًا آلَفَ عَلَىٰ وَزْنِ أَفْعَلَ مِثْلُ: آمَنَ، وَيَكُونُ الْمَصْدَرُ: إِيلَافًا بِالْيَاءِ مِثْلُ: إِيمَانًا، وَقَدْ قُرِئَ ﴿لِإِلَافِ قُرَيْشٍ﴾ بِغَيْرِ يَاءٍ، ولو كان من آلفت الشيء عَلَىٰ وَزْنِ أَفْعَلْت إِذَا أَلِفته لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ صَحِيحَةً، وَقَدْ قَرَأَهَا ابْنُ عَامِرٍ، فَدَلّ هَذَا عَلَىٰ صِحّةِ مَا قَالَهُ الْهَرَوِيّ، وَقَدْ حَكَاهُ عَمّنْ تَقَدّمَهُ" [1].

ذَكَر المفسرون فِي الْإِيلَافِ ثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْإِيلَافَ هُوَ الْإِلْفُ، قَالَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ: أَلِفْتُ الشَّيْءَ وَأَلَفْتُهُ إِلْفًا وَإِلَافًا وَإِيلَافًا بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، أَيْ لَزِمْتُهُ، فَيَكُونُ الْمَعْنَىٰ: لِإِلْفِ قُرَيْشٍ هَاتَيْنِ الرِّحْلَتَيْنِ فَتَتَّصِلَا وَلَا تَنْقَطِعَا.

قال ابن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ): "وللعرب في ذلك لغتان: آلفت، وألفت؛ فمن قال: آلفت بمدّ الألف قال: فأنا أؤالف إيلافا؛ ومن قال: ألفت بقصر الألف قال: فأنا آلف إلفا"[2]، وَالْأَصْلُ هُوَ أَلِفَ، وَصِيغَةُ الْإِفْعَالِ فِيهِ لِلْمُبَالَغَ؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا أَنْ تَدُلَّ عَلَىٰ حُصُولِ الْفِعْلِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، فَصَارَتْ تُسْتَعْمَلُ فِي إِفَادَةِ قُوَّةِ الْفِعْلِ مَجَازًا، ثُمَّ شَاعَ ذَلِكَ فِي بعض ذَلِك الْأَفْعَالِ حَتَّىٰ سَاوَىٰ الْحَقِيقَةَ مِثْلَ سَافَرَ، وَعَافَاهُ اللهُ، وَقَاتَلَهُمُ اللهُ[3].

(١) الروض الأنف١/ ٢٨١ ـ ٢٨٥.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٤/ ٦١٩.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٥٥.

وَثَانِيهَا: أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ قَوْلِكَ: لَزِمْتُ مَوْضِعَ كَذَا وَأَلْزَمَنِيهِ اللهُ، كَذَا تَقُولُ: أَلِفْتُ كَذَا، وَأَلَفَنِيهِ اللهُ، وَيَكُونُ الْمَعْنَىٰ إِثْبَاتَ الْأُلْفَةِ بِالتَّدْبِيرِ الَّذِي فِيهِ لُطْفٌ أَلِفَ بِنَفْسِهِ إِلْفًا وَآلَفَهُ غَيْرُهُ إِيلَافًا، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْإِلْفَةَ إِنَّمَا حَصَلَتْ فِي قُرَيْشٍ بِتَدْبِيرِ اللهِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿...وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ... ﴿٦٣﴾﴾ [الْأَنْفَالِ: ٦٣] وَقَالَ: ﴿...فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ... ﴿١٠٣﴾﴾ [آلِ عِمْرَانَ] وَقَدْ تَكُونُ الْمَسَرَّةُ سَبَبًا لِلْمُؤَانَسَةِ وَالِاتِّفَاقِ، كَمَا وَقَعَتْ عِنْدَ انْهِزَامِ أصحاب الفيل لقريش، فيكون المصدر هاهنا مُضَافًا إِلَىٰ الْمَفْعُولِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَىٰ لِأَجْلِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ قُرَيْشًا مُلَازِمِينَ لِرِحْلَتَيْهِمْ.

وَثَالِثُهَا: أَنْ يَكُونَ الْإِيلَافُ هُوَ التَّهْيِئَةُ وَالتَّجْهِيزُ، وَهُوَ قَوْلُ الْفَرَّاءِ(ت٢٠٧ هـ) وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ(ت٢٣١ هـ) فَيَكُونُ الْمَصْدَرُ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ مُضَافًا إِلَىٰ الْفَاعِلِ، وَالْمَعْنَىٰ: لِتَجْهِيزِ قُرَيْشٍ رِحْلَتَيْهَا حَتَّىٰ تَتَّصِلَا وَلَا تَنْقَطِعَا [(١)].

وفي معاجمنا اللغوية: "الْهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَىٰ انْضِمَامِ الشَّيْءِ إِلَىٰ الشَّيْءِ، وَالْأَشْيَاءُ الْكَثِيرَةُ أَيْضًا... " [(٢)]، وَيُقَالُ أَيضًا: آلَفْتُ الْمَوْضِعَ أُولِفُه إِيلَافًا، وَكَذَلِكَ آلَفْتُ الموضِعَ أُؤالِفُه مُؤَالَفة وَإِلَافًا، فَصَارَتْ صُورةُ أَفْعَلَ وفاعَلَ فِي الْمَاضِي وَاحِدَةً، وأَلَّفْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ تأْلِيفًا فتأَلَّفا وائْتَلَفا، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾﴾ [قريش] فِيمَنْ جَعَلَ الْهَاءَ مَفْعُولًا و﴿رِحْلَةَ﴾ مَفْعُولًا ثَانِيًا، وَقَدْ يَجُوزُ أَن يَكُونَ الْمَفْعُولُ هُنَا وَاحِدًا عَلَىٰ قَوْلِكَ آلَفْتُ الشَّيْءَ

(١) مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٩٦.

(٢) مقاييس اللغة (أ ل ف) ١/ ٢٣١.

كأَلِفْتُه، وَتَكُونُ الْهَاءُ وَالْمِيمُ فِي مَوْضِعِ الْفَاعِلِ كَمَا تَقُولُ عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِ زيدٍ عَمْرًا.

وَقَالَ... أَبو عُبَيْدٍ(ت٢٢٤ هـ): أَلِفْتُ الشَّيْءَ وآلَفْتُه بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ لَزِمْتُهُ، فَهُوَ مُؤْلَفٌ ومأْلُوفٌ. وآلَفَتِ الظِّباءُ الرَّمْلَ إِذَا أَلِفَتْه؛ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

مِنَ المُؤْلِفاتِ الرَّمْلِ أَدْماءُ حُرَّةٍ شُعَاعُ الضُّحىٰ فِي مَتْنِها يَتَوضَّحُ[1]

وقال أَبو زَيْدٍ(ت٢١٥ هـ): أَلِفْتُ الشيءَ وأَلِفْتُ فُلَانًا إِذَا أَنِسْتَ بِهِ، وأَلَّفْتُ بَيْنَهُمْ تأْلِيفًا إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقٍ....

قَالَ ابْنُ الأَنباري: مَنْ قرأَ ﴿لِإِلَافِ﴾ و﴿إِلْفِهِم﴾ فَهُمَا مِنْ أَلِفَ يأْلَف، وَمَنْ قرأَ ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ فَهُوَ مِنْ آلَفَ يُؤْلِفُ، قَالَ: وَمَعْنَىٰ يُؤَلِّفُون يُهَيِّئُون ويُجَهِّزُون. قَالَ أَبو مَنْصُورٍ(ت٣٧٠ هـ): وَهُوَ عَلَىٰ قَوْلِ ابْنِ الأَعرابي بِمَعْنَىٰ يُجِيرُون، والإِلْفُ والإِلافُ بِمَعْنًىٰ؛ وأَنشد حَبِيبُ بْنُ أَوس فِي بَابِ الْهِجَاءِ لمُساور بْنِ هِنْدٍ يَهْجُو بَنِي أَسد:

زَعَمْتُمْ أَن إِخْوَتَكم قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلافُ[2]

... قَالَ ابْنُ الأَعرابي: كَانَ هاشمٌ يُؤَلِّفُ إِلَىٰ الشَّامِ، وعبدُ شَمْسٍ يُؤَلِّف إِلَىٰ الحَبَشةِ، والمطلبُ إِلَىٰ اليَمن، ونَوْفَلٌ إِلَىٰ فارِسَ. قَالَ: ويتأَلَّفُون أَي يَسْتَجِيرون؛ قَالَ الأَزهري: وَمِنْهُ قَوْلُ أَبي ذُؤَيْبٍ:

تَوَصَّلُ بالرُّكْبانِ حِينًا، وتُؤْلِفُ جوارَ ويُغْشِيها الأَمانَ ذِمامُها[3]

---

(١) البيت من الطويل لذي الرمة في مقاييس اللغة (أ ل ف) ١/ ١٣١.

(٢) البيت من الوافر لمساور بن هند في الفائق في غريب الحديث ص٥٣ ولسان العرب (أ ل ف) والتحرير والتنوير١٠/ ٢٣٠، وبعده:

أُولَئِكَ أُومِنُوا جُوعًا وَخَوْفًا وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

(٣) البيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين: (١/ ٧٣). .

... والإيلافُ: العَهْدُ والذِّمامُ "[١].

وفي لام ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها موصولة بما قبلها، المعنىٰ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقىٰ قريش. وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف، هذا قول الفرّاء(ت٢٠٧ هـ) والجمهور.

والثاني: أنها لام التعجّب، كأنّ المعنىٰ: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت، قاله الأعمش(ت١٤٨ هـ) والكسائيّ(ت١٨٩ هـ).

والثالث: أنّ معناها متّصل بما بعدها. المعنىٰ: فليعبد هؤلاء ربّ هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، لأنهم كانوا في الرّحلتين آمنين، وإذا عرض لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله فلا يتعرّض لهم، قال الزّجّاج(ت٣١١ هـ): وهذا الوجه قول النّحويين الذي ترتضي أقوالهم[٢].

وَالقَوْلُ الأَول ذكَره الجَوْهَرِيُّ(ت٣٩٣ هـ)، ونَصُّهُ: " وقوله تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ ... ۝٢﴾ [قريش] يقول تعالىٰ: أهلكت أصحاب الفيل لأُولِفَ قريشاَ مكّة، ولِتُؤَلِّفَ قريشٌ رحلَة الشتاء والصيف، أي تجمَعَ بينهما، إذا فرغوا من ذِهِ أخذوا في ذه، وهذا كما تقول: ضربته لكذا لكذا، بحذف الواو "[٣].

قَالَ ابنُ عَرَفَةَ(ت٨٠٣ هـ): هَذَا قَوْلٌ لَا أَحبُّهُ مِن وَجْهَيْنِ:

---

(١) لسان العرب (أ ل ف).

(٢) زاد المسير ٤/ ٤٩٣.

(٣) الصحاح (أ ل ف) ٤/ ١٣٣٢.

أَحَدُهما: أَنَّ بينَ السُّورَتَيْن بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحِيم، وذلِك دليلٌ عَلَىٰ انْقِضَاءِ السُّورةِ، وافْتِتَاحِ الأُخْرَىٰ.

والآخَرُ: أَنَّ الإِيلافَ إِنَّمَا هُوَ العُهُودُ الَّتِي كانُوا يَأْخَذونَهَا إِذا خَرَجُوا فِي التِّجَاراتِ، فيَأْمَنُونَ بهَا [1].

وبعد ذكر هذه النصوص نلاحظ الآتي:

الأول: وظّف السهيلي قراءة ابن عامر لغويا لتصحيح التفسير القائل بأن الإلف بمعنىٰ العهد والذمام، وهذا ما أيده السياق التاريخي الذي ذكره ابن الأعرابي(١٥٠ - ٢٣١ هـ)، ولتؤدي كل قراءة معنىٰ، فتكون قراءة ابن عامر لمعنىٰ العهد الذي كان بين قريش ومن جاورهم، وتحمل قراءة الجمهور معنىٰ اللزوم.

الثاني: قراءة ابن عامر حسنة؛ فإن فيها جمعا بين اللغتين باعتبار الحرفين.

الثالث: القُرَّاءُ مُتَّبِعون الأَثَر والروايةَ لا مجرَّدَ الخطِّ.

وهاك جملة من أقوال العلماء التي تنص على ذلك:

ـ قال ابن النجيبين الهمذاني(ت٦٤٣ هـ): " وأجمعوا علىٰ إثبات الياء في اللفظ دون الخط بعد الهمزة في قوله ﴿ إِۦلَٰفِهِمْ ﴾، وهو معنىٰ قول الشاطبي-رحمه الله-:

وَإِيلافِ كُلٌّ وَهْوَ فِي الْخَطِّ سَاقِطٌ .....

وهذا يدل علىٰ اتباعهم الأثر والوقوف عنده "[2].

ـ وقال أبو شامة(ت٦٦٥ هـ) في شرحه علىٰ الشاطبية: أي: وكلهم أثبت الياء في الحرف الثاني وهو ﴿ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ﴾، وهذه الياء ساقطة في

(١) تاج العروس (أ ل ف).

(٢) الدرة الفريدة في شرح القصيدة ٥/ ٢٨٨.

خط المصحف والأولىٰ ثابتة والألف بعد اللام فيهما ساقطة وصورتهما ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ ...۝٢﴾ فأجمعوا علىٰ قراءة الثاني بالياء وهو بغير ياء في الرسم، واختلفوا في الأول وهو بالياء، وهذا مما يقوي أمر هؤلاء القراء في اتباعهم فيما يقرؤونه النقل الصحيح دون مجرد الرسم وما يجوز في العربية "[١].

- وقال الجعبري(ت٧٣٢ هـ): " وفيه تنويه بأنّ عمدتهم مجرد النقل دون الرسم "[٢].

- وقال السمين(ت٧٥٦ هـ): " ومِنْ غريبِ ما اتَّفَق في هذَيْن الحرفَيْنِ أنَّ القرَّاءَ اختلفوا في سقوطِ الياءِ وثبوتِها في الأولِ، مع اتفاقِ المصاحفِ علىٰ إثباتِها خَطًّا، واتفقوا علىٰ إثباتِ الياءِ في الثاني مع اتفاقِ المصاحفِ علىٰ سقوطِها فيه خَطًّا، فهو أَدَلُّ دليلٍ علىٰ أنَّ القُرَّاءَ مُتَّبِعون الأثَر والروايةَ لا مجرَّدَ الخطِّ "[٣].

- وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣ هـ): " وَأَمَّا الْأَلِفُ الْمَدَّةُ الَّتِي بَعْدَ اللَّامِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْكَلِمَةِ فَلَمْ تُكْتَبْ فِي الْكَلِمَتَيْنِ فِي الْمُصْحَفِ عَلَىٰ عَادَةِ أَكْثَرِ الْمَدَّاتِ مِثْلِهَا، وَالْقِرَاءَاتُ رِوَايَاتٌ وَلَيْسَ خَطُّ الْمُصْحَفِ إِلَّا كالتذكرة للقارئ، وَرَسْمُ الْمُصْحَفِ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ سَنَّهَا الصَّحَابَةُ الَّذِينَ عُيِّنُوا لِنَسْخِ الْمَصَاحِفِ "[٤].

*** *** *** ***

(١) إبراز المعاني ص٧٢٨.
(٢) شرح الجعبري علىٰ متن الشاطبية ٥/ ٢٥٣٣.
(٣) الدر المصون ١١/ ١١٢.
(٤) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٥٦.

المبحث الثالث:
توظيف القراءات لغويا
في مسـائل العقيـدة

لَا يَخْفَىٰ تَصْرِيحُ الْقُرْآنِ بِأَنَّ اللهَ - تَعَالَىٰ - خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] [الزمر: ٦٢]، وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وَقَالَ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، لكن لِلْمُعْتَزِلَةِ والقدرية كَلَامٌ حَوْلَ خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَأَنَّ اللهَ لَا يَخْلُقُ الشَّرَّ، وَقَالُوا: كَيْفَ يَخْلُقُهُ وَيُقَدِّرُهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ سُبْحَانَهُ مِمَّا خَلَقَهُ وَقَدَّرَهُ؟ وَأُجِيبَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ: بِأَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»[1]، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد: ١٦]، قال القرطبي(ت٦٧١ هـ): " ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد: ١٦] أَيْ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فَلَزِمَ لِذَلِكَ أَنْ يعبده كل شيء. وَالْآيَةُ رَدٌّ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَالْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ خَلَقُوا كَمَا خَلَقَ اللهُ "[2].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٥٢/ ٤٨٦) وتمامه: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَىٰ بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ».

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٣٠٤.

وقال محيي الدين النووي (ت: ٦٧٦ هـ): " قال أهل اللغة: القدْر ـ بإسكان الدال وفتحها ـ لغتان، هو قدر الله تعالىٰ الذي يجب الإيمان به كله، خيره وشره ،حلوه ومر، نفعه وضر،. ومذهب أهل الحق إثبات القدر والإيمان به كله... وقد جاء من النصوص القطعيات في القرآن العزيز والسنن الصحيحة المشهورات في إثباته ما لا يحصىٰ من الدلالات، وقد أكثر العلماء في إثباته من المصنفات المستحسنات، فرضي الله تعالىٰ عنهم وأجزل لهم المثوبات، وذهبت القدرية إلىٰ إنكاره، وأن الأمر أنف أي: مستأنف، لم يسبق به علم الله تعالىٰ الله عن قولهم الباطل علوًا كبيرًا.

وقد جاء في الحديث تسميتهم "مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ" [(١)] لكونهم جعلوا الأفعال للفاعلين، فزعموا أن الله تعالىٰ يخلق الخير، وأن العبد يخلق الشر جل الله تعالىٰ عن قولهم الباطل. قال إمام الحرمين(ت: ٤٧٨هـ) وغيره من متكلمي أصحابنا، وابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)من أئمة أصحاب اللغة: اتفقنا نحن وهم علىٰ ذم القدرية وهم يسموننا قدرية لإثبات القدر ويموهون بذلك، وهذا جهل منهم ومباهتة، بل هم المسمون بذلك لأوجه:

أحدها: النصوص الصريحة في القرآن والسنة الصحيحة المشهورة في إثبات القدر.

والثاني: أن الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم من السلف لم يزالوا علىٰ الإيمان بإثبات القدر وإغلاظ القول علىٰ من ينفيه...

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٢٢/ ٤٦٩١) وتمامه: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ: إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ "، قال الهيثمي في مجمع الزوائد(٧/ ٢٠٥/ ١١٨٧١): " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ هَارُونَ بْنِ مُوسَىٰ الْفَرْوِيِّ وَهُوَ ثِقَةٌ"، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٩٢٥).

والثالث: أنا أثبتناه لله تعالىٰ وهم زعموه لأنفسهم، وادعوا أنهم مخترعون لأفعالهم ولم يتقدم بها علم، فمن أثبته لنفسه كان بأن ينسب إليه أولىٰ ممن نفاه عن نفسه وأثبته لغيره، وهذا الثالث هو قول ابن قتيبة ثم إمام الحرمين رحمهما الله تعالىٰ "[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢ هـ): " وَقَالَ أَهْلُ الْحَقِّ: أَفْعَالُ الْعِبَادِ بِهَا صَارُوا مُطِيعِينَ وَعُصَاةً، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَالْحَقُّ سبحانه وتعالىٰ مُنْفَرِدٌ بِخَلْقِ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا خَالِقَ لَهَا سِوَاهُ. فَالْجَبْرِيَّةُ غَلَوْا فِي إِثْبَاتِ الْقَدَرِ، فَنَفَوْا صنع العبد أصلا،... وَالْقَدَرِيَّةُ نُفَاةُ الْقَدَرِ جَعَلُوا الْعِبَادَ خَالِقِينَ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلِهَذَا كَانُوا "مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ"،... وَهَدَىٰ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ السُّنَّةِ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ، وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مستقيم "[2].

وعن عصام الرازي قال: سمعت المُزَنِيَّ(١٧٥ - ٢٦٤ هـ) يقول: إذا قال الرجل: والله لا أضرب اليوم أحداً، فضرب نفسه، لا يحنث؛ لأنه إنما أراد غيره من الناس. قال: وهذا يدخل في اللغة علىٰ القدرية في قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] [الزمر: ٦٢] والله خالق الأشياء كلها أعمال العباد وغيرها، ولم يعن نفسه إنما أراد سواه[3].

ـ وقد وظّف أبو القاسم السهيلي الإجماع القرائي لتأييد مذهب أهل السنة وإبطال مذهب القدرية، بعد أن ذكر ما قاله النحويون في ترجيح النصب علىٰ الرفع في باب الاشتغال، وأضاف إلىٰ مواضع الترجيح موضعا دلاليا يتمثل في استقامة المعنىٰ ووضوح الدلالة، فقال: " ومن باب

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٤/ ٨١.

(٢) شرح الطحاوية ٤٣٩.

(٣) منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ٢٢٩.

اشتغال[١] الفعل عن المفعول بضميره، ربطوا في هذا الباب اختيار النصب علىٰ الرفع بالأمر والنهي والاستفهام والجحد والجزاء[٢]، وليس مقصوراً علىٰ هذه المواضع، بل كل موضع يكون القصد فيه إلىٰ الفعل والفائدة في ذكره أقوىٰ كان النصب فيه هو الوجه، ألا ترىٰ إلىٰ قوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩] كيف أجمع القراء علىٰ نصبه، ودل ذلك علىٰ قبح الرفع فيه؛ لأن مقصد الآية المدح بالفعل والاقتدار علىٰ خلق الأشياء وتقديرها، مع أنه لو قال: (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ)، لذهب الوهم إلىٰ الصفة لا إلىٰ الخبر في قوله: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾، فكان يكون فيه للقدرية متعلق بأن يقولوا: نعم كل شيء خلقه فهو بقدر يقدره، وكل شيء لم يخلقه فهو بخلاف ذلك، لأن فعل الإنسان عندهم غير مخلوق للرب، تعالىٰ عن قولهم "[٣].

وقد أوضح ابن عطية(ت٥٤٢ هـ) هذه المسألة فقال: " واختلف الناس في قوله تعالىٰ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فقرأ جمهور الناس: ﴿إِنَّا كُلَّ﴾ بالنصب، والمعنىٰ: خلقنا كل شيء خلقناه بقدر،

---

(١) حد الاشتغال أن يتقدم اسم، ويتأخر عنه فعل متصرف، أو اسم يشبهه ناصب لضميره، أو لملابس ضميره بواسطة أو غيرها، ويكون ذلك العامل بحيث لو فرّغ من ذلك المعمول، وسلط علىٰ الاسم المتقدم لنصبه (التصريح بمضمون التوضيح ١/ ٤٤١).

(٢) قال ابن هشام:" فَأَما تَرْجِيح النصب فَفِي مسَائِل، مِنْهَا: أَن يكون الْفِعْل الْمَذْكُور فعل طلب، وَهُوَ الْأَمر وَالنَّهْي وَالدُّعَاء، كَقَوْلِك "زيدا اضربه" و"زيدا لَا تهنه" و"اللهم عَبدك ارحمه"، وَإِنَّمَا يتَرَجَّح النصب فِي ذَلِك؛ لِأَن الرّفْع يسْتَلْزم الْإِخْبَار بِالْجُمْلَةِ الطلبية عَن الْمُبْتَدَأ وَهُوَ خلاف الْقيَاس؛ لِأَنَّهَا لَا تحْتَمل الصدْق وَالْكذب" (شرح قطر الندىٰ وبل الصدىٰ لابن هشام ص ١٩٣).

(٣) نتائج الفكر في النحو ص٣٣٦.

وليست ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ في موضع الصفة لـ﴿شَيْءٍ﴾، بل هو فعل دال علىٰ الفعل المضمر، وهذا المعنىٰ يقتضي أن كل شيء مخلوق، إلا ما قام دليل العقل علىٰ أنه ليس بمخلوق كالقرآن والصفات. وقرأ أبو السمال [1] ورجحه أبو الفتح(ت٣٩٢ هـ): (إنا كلُّ) بالرفع علىٰ الابتداء، والخبر: ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

قال أبو حاتم(ت٢٥٥ هـ): هذا هو الوجه في العربية، وقراءتنا بالنصب مع جماعة، وقرأها قوم من أهل السنة بالرفع، والمعنىٰ عندهم علىٰ نحو ما عند الأولىٰ أن كل شيء فهو مخلوق بقدر سابق، و: ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ علىٰ هذا ليست صفة لـ﴿شَيْءٍ﴾، وهذا مذهب أهل السنة، ولهم احتجاج قوي بالآية علىٰ هذين القولين، وقالت القدرية وهم الذين يقولون: لا قدر، والمرء فاعل وحده أفعاله: القراءة (إنا كلُّ شيء خلقناه) برفع «كلُّ» و﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ في موضع الصفة ب «كلّ»، أي أن أمرنا وشأننا كلّ شيء خلقناه فهو بقدر وعلىٰ حد ما في هيئته وزمنه وغير ذلك، فيزيلون بهذا التأويل موضع الحجة عليهم بالآية "[2].

وقال السمين الحلبي (ت٧٥٦ هـ): " وقد رَجَّحَ الناسُ، بل بعضُهم أوجبَ النصبَ قال: لأن الرفعَ يُوْهِمُ ما لا يجوزُ علىٰ قواعد أهل السُّنَّة، وذلك أنه إذا رُفع ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ كان مبتدأً و﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ صفةٌ ل ﴿كُلَّ﴾ أو لـ﴿شَيْءٍ﴾، و﴿بِقَدَرٍ﴾ خبرهُ، وحينئذٍ يكون له مفهومٌ لا يَخْفَىٰ علىٰ متأمِّله، فيلزَمُ أن يكون الشيءُ الذي ليس مخلوقًا لله تعالىٰ لا بَقَدَر، كذا قَدَّره بعضُهم.

---

(١) قعنب بن أبي قعنب أبو السمال -بفتح السين وتشديد الميم وباللام- العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة (غاية النهاية ٢/ ٢٧).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.

وقال أبو البقاء(ت٦١٦ هـ): «وإنما كان النصبُ أَوْلىٰ لدلالتِه علىٰ عموم الخَلْقِ، والرفعُ لا يدلُّ علىٰ عمومِه، بل يُفيد أنَّ كل شيءٍ مخلوقٌ فهو بقدر»[1]....

وقد أجمع القرّاءُ علىٰ النصبِ في ﴿كُلَّ﴾ علىٰ الاختيار فيه عند الكوفيين لِيَدُلَّ ذلك علىٰ عموم الأشياء المخلوقاتِ أنها لله تعالىٰ بخلافِ ما قاله أهلُ الزَيْغِ مِنْ أنَّ ثمَّ مخلوقاتٍ لغير الله تعالىٰ، وإنما دلَّ النصبُ في﴿كُلَّ﴾ علىٰ العموم؛ لأن التقديرَ: إنَّا خَلَقْنا كلَّ شيء خَلَقْناه بَقَدَر، فَخَلَقْناه تأكيدٌ وتفسيرٌ لـ(خَلَقْنا)المضمر الناصبِ لـ﴿كُلَّ﴾ وإذا حَذَفْتَه وأَظْهَرْت الأولَ صار التقديرُ: إنَّا خَلَقْناه كلَّ شيءٍ بَقدَر، فهذا لفظٌ عامٌ يَعُمُّ جميع المخلوقاتِ، ولا يجوز أَنْ يكون (خَلَقْناه) صفةً لـ﴿شَيْءٍ﴾لأنَّ الصفةَ والصلةَ لا يعملان فيما قبل الموصوفِ ولا الموصولِ، ولا يكونان تفسيراً لِما يعملُ فيما قبلهما، فإذا لم يَبْقَ(خَلَقْناه)صفةً لم يَبْقَ إلاَّ أنه تأكيدٌ وتفسيرٌ للمضمر النصب، وذلك يَدُلُّ علىٰ العموم. وأيضًا فإن النصبَ هو الاختيارُ لأنَّ﴿إِنَّا﴾عندهم يَطلبُ الفعلَ فهو أَوْلىٰ به، فالنصبُ عندهم في﴿كُلَّ﴾ هو الاختيارُ، فإذا انضاف إليه معنىٰ العموم والخروج عن الشُبَهِ كان النصبُ أَوْلىٰ من الرفع....

وقال قومٌ: إذا كان الفعل يُتَوَهَّمُ فيه الوصفُ وأنَّ ما بعدَه يَصْلُحُ للخبر، وكان المعنىٰ علىٰ أن يكون الفعلُ هو الخبرَ اختير النصبُ في الاسمِ الأولِ حتىٰ يتضحَ أنَّ الفعل ليس بوصفٍ، ومنه هذا الموضعُ؛ لأنَّ قراءة الرفع تُخَيِّل أنَّ الفعلَ وصفٌ، وأن الخبرَ ﴿بِقَدَرٍ﴾، وقد تنازع أهلُ السنة والقَدَرِيَّة الاستدلال بهذه الآية: فأهلُ السُّنَّة يقولون: كلُّ شيء مخلوقٌ لله تعالىٰ

(١)التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١١٩٦.

بقَدَرٍ، ودليلُهم قراءة النصبِ لأنه لا يُفَسَّر في هذا التركيب إلاَّ ما يَصِحُّ أن يكون خبراً لو رُفِع الأولُ علىٰ الابتداء، وقال القَدَرية: القَراءةُ برفع «كل"و«خَلَقْناه» في موضع الصفة ل «كل»، أي: إنَّ أمْرَنا أو شأنَنا: كلُّ شيء خَلَقْناه فهو بَقَدر أو بمقدار، وعلىٰ حَدِّ ما في هيئتهِ وزمنِه [1].

وهكذا تتضافر نصوص العلماء في إبطال معتقد القدرية مستعينين في ذلك بالقراءات والدلالة اللغوية، ويدلي برهان الدين البقاعي(ت٨٨٥ هـ) بدلوله فيقول: " ﴿إِنَّا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي من الأشياء المخلوقة كلها صغيرها وكبيرها، ولما كان هذا التعميم في الخلق أمراً أفهمه النصب، استأنف قوله تفسيراً للعامل المطوي وإخباراً بجعل ذلك الخلق كله علىٰ نظام محكم وأمر مقدر مبرم ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أي قضاء وحكم وقياس مضبوط وقسمة محدودة وقدرة بالغة وتدبير محكم في وقت معلوم ومكان محدود مكتوب في ذلك اللوح قبل وقوعه تقيسه الملائكة بالزمان وغيره من العد وجميع أنواع الأقيسة – فلا يخرم عنه مثقال ذرة لأنه لا منازع لنا مع ما لنا من القدرة الكاملة والعلم التام...، وقرئ في الشواذ برفع «كل" وجعله ابن جني(ت٣٩٢ هـ) أقوىٰ من النصب، وليس كذلك لأن الرفع لا يفيد ما ذكرته، وما حمله علىٰ ذلك إلا أنه معتزلي، والنصب علىٰ ما قدرته قاصم لأهل الاعتزال" [2].

وهكذا يكون للاعتقاد أثر في اختيار وترجيح قراءة علىٰ أخرىٰ، يقول أبو الفتح(ت٣٩٢ هـ): الرفع هنا أقوىٰ من النصب، وإن كانت الجماعة علىٰ النصب؛ وذلك أنه من مواضع الابتداء، فهو كقولك: زيد ضربته،

(١) الدر المصون ١٠/ ١٤٦ وينظر: مفاتيح الغيب ٢٩/ ٣٢٦.

(٢) نظم الدرر ١٩/ ١٣٢.

وهو مذهب صاحب الكتاب والجماعة، وذلك لأنها جملة وقعت في الأصل خبرا عن مبتدأ في قولك: نحن كل شيء حلقناه بقدر، فهو كقولك: هند زيد ضربها، ثم تدخل إن، فتنصب الاسم، وبقي الخبر علىٰ تركيبه الذي كان عليه من كونه جملة من مبتدأ وخبر.

واختار محمد بن يزيد(ت٢٨٥ هـ) هنا النصب، وقال: لأن تقديره إنا فعلنا كذا، وقال: فالفعل منتظر بعد إنا، فلما دل ما قبله عليه حسن إضمار. وليس هذا شيئا؛ لأن أصل خبر المبتدأ أن يكون اسما لا فعلا، جزءا منفردا. فما معنىٰ توقع الفعل هنا، وخبر إن وأخواتها كأخبار المبتدأ؟ وعليه قول الله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر: ٦٠]، فهذه الجملة التي هي وجوههم مسودة في موضع المفعول الثاني لرأيت، وهو في الأصل خبر المبتدأ[(١)].

إلا أننا لا نوافق ابن جني في ترجيحه لقراءة الرفع علىٰ قراءة النصب، فقراءة النصب قراءة متواترة مجمع عليها، يؤيدها السياق العام للقرآن الكريم، وكذا السنة النبوية الصحيحة، وإن جاءت علىٰ وجه نحوي ليس في قوة الوجه النحوي الوارد عليه القراءة الشاذة، فالمعوّل عليه في القراءات أن توافق العربية ولو بوجه، بل للنصب في هذه القراءة دلالة لغوية يوضحها ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) بقوله: "وَانْتَصَبَ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ عَلَىٰ الْمَفْعُولِيَّةِ لِ ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ عَلَىٰ طَرِيقَةِ الِاشْتِغَالِ، وَتَقْدِيمُهُ عَلَىٰ ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ لِيَتَأَكَّدَ مَدْلُولُهُ بِذِكْرِ اسْمِهِ الظَّاهِرِ ابْتِدَاءً، وَذِكْرَ ضَمِيرِهِ ثَانِيًا، وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَقْتَضِي الْعُدُولَ إِلَىٰ الِاشْتِغَالِ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ فَيَحْصُلُ تَوْكِيدٌ لِلْمَفْعُولِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ تَحْقِيقُ نِسْبَةِ الْفِعْلِ إِلَىٰ فَاعِلِهِ بِحَرْفِ إِنَّ الْمُفِيدِ لِتَوْكِيدِ الْخَبَرِ وَلِيَتَّصِلَ قَوْلُهُ:

(١) نظم الدرر ١٩/ ١٣٢.

﴿بِقَدَرٍ﴾ بالْعَامِلِ فِيهِ وَهُوَ ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾، لِئَلَّا يَلْتَبِسُ بِالنَّعْتِ لِشَيْءٍ لَوْ قِيلَ: إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، فَيَظُنَّ أَنَّ الْمُرَادَ: أَنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّرٍ فَيَبْقَىٰ السَّامِعُ مُنْتَظِرًا لخَبر إِن" [1].

والسياق القرآني للسورة الكريمة يقرر قاعدة مؤداها أنه لو كان المعنىٰ لا يصح مع النصب عُدل إلىٰ الرفع، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]، فإنَّه لم يختلف في رفعِه قالوا لأنَّ نصبَه يُؤدِّي إلىٰ فسادِ المعنىٰ لأنَّ الواقعَ خلافُه، وذلك أنَّك لو نَصَبْتَه لكان التقديرُ: فعلوا كلَّ شيءٍ في الزبُر، وهو خلافُ الواقع؛ إذ في الزُّبُر أشياءُ كثيرةٌ جداً لم يفعلوها. وأمَّا قراءةُ الرفعِ فتؤَدِّي أنَّ كلَّ شيءٍ فعلوه هم، ثابتٌ في الزُبُر وهو المقصود فلذلك اتُّفِقَ علىٰ رفعِه، وهذان الموضعان مِنْ نُكَتِ المسائلِ العربيةِ التي اتَّفق مجيئُها في سورةٍ واحدةٍ في مكانَيْن متقاربين، ومما يَدُلُّ علىٰ جلالةِ علمِ الإعراب وإفهامِهِ المعانيَ الغامضةَ. والجاهلون لأهل العلم أعداءٌ. [2].

قال البقاعي(ت٨٨٥ هـ): "قال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي الأشياء في أيّ وقت كان، كأن بالكتابة ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أي كتب الحفظة فليحذروا من أفعالهم فإنها غير منسية، هذا ما أطبق عليه القراء مما أدىٰ إلىٰ هذا المعنىٰ من رفع﴿وَكُلُّ﴾؛ لأنه لو نصب لأوهم تعلق الجار بالفعل فيوهم أنهم فعلوا في الزبر كل شيء من الأشياء وهو فاسد" [3].

*** *** ***

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٢١٩.

(٢) الدر المصون ١٠/ ١٤٩.

(٣) نظم الدرر ١٩/ ١٣٥.

المبحث الرابع
توظيف القراءات لغويا
في الأحكام الفقهية

أولا: العمرة بين الوجوب والاستحباب:

قال السهيلي: "وَالْعُمْرَةُ وَاجِبَةٌ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عُمَر وَابْنِ عَبّاسٍ، وَقَالَ الشّعْبِيّ: لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ، وَذُكِرَ عَنْهُ أَنّهُ كَانَ يَقْرَأُهَا: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [الْبَقَرَةِ ١٩٦] بِالرّفْعِ لَا يَعْطِفُهَا عَلَىٰ الْحَجّ. وَقَالَ عَطَاءٌ هِيَ وَاجِبَةٌ إلّا عَلَىٰ أَهْلِ مَكّةَ" (١).

ذكر السهيلي في هذا النص ثلاثة أقوال للعلماء في حكم العمرة، أحدها أنها ليست بواجبة وعزاه للشعبي (ت ١٠٥ هـ) واحتج له بالقراءة الشاذة في قوله تعالىٰ ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [الْبَقَرَةِ ١٩٦] برفع ﴿وَٱلْعُمْرَةَ﴾، وقد عزيت هذه القراءة للأصمعي عن نافع، ومحبوب(٢) والقزاز عن أبي عمرو، والكسائي عن أبي جعفر (٣)، وهي قراءة عَلِيّ، وَابْن مَسْعُودٍ، وَزَيْد بْنِ ثَابِتٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْن عُمَرَ وَالشَّعْبِيّ، وَأَبُي حَيْوَةَ، (٤) وأبي رزين والحسن والسدي(٥).

---

(١) الروض الأنف ٧/ ١٥٩.

(٢) ينظر ترجمته في غاية النهاية ٢/ ١٢٣

(٣) المغني في القراءات لابن الدهان ١/ ٤٩٧ وزاد المسير١/ ١٥٨.

(٤) البحر المحيط ٢/ ٢٥٥.

(٥) المغني في القراءات لابن الدهان ١/ ٤٩٧ ، زاد المسير١/ ١٥٨ ونسبت للشعبي فقط في شواذ القرآن واختلاف المصاحف لابن أبي نصر ١/ ١١٥ وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٩٢.

ودلالة هذه القراءة: أن قوله ﴿والعُمْرَةُ لِلَّهِ﴾ بِالرَّفْعِ عَلَىٰ الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، فَيَخْرُجُ الْعُمْرَةُ عَنِ الْأَمْرِ، وَيَنْفَرِدُ بِهِ الْحَجُّ...، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْحَجَّ فَرْضٌ، وَأَنَّهُ أَحَدُ الْأَرْكَانِ الَّتِي بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَيْهَا(١).

قال القرطبي(ت٦٧١ هـ): "قَرَأَ الشَّعْبِيُّ وَأَبُو حَيْوَةَ بِرَفْعِ التَّاءِ فِي﴿وَٱلْعُمْرَةَ ﴾، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَىٰ عَدَمِ الْوُجُوبِ، وَقَرَأَ الْجَمَاعَةُ﴿وَٱلْعُمْرَةَ ﴾بِنَصْبِ التَّاءِ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَىٰ الْوُجُوبِ.... وَفَائِدَةُ التَّخْصِيصِ بِذِكْرِ اللهِ هُنَا أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَقْصِدُ الْحَجَّ لِلِاجْتِمَاعِ وَالتَّظَاهُرِ وَالتَّنَاضُلِ وَالتَّنَافُرِ وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ وَحُضُورِ الْأَسْوَاقِ، وَكُلِّ ذَلِكَ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ طَاعَةٌ، وَلَا حَظَّ بِقَصْدٍ، وَلَا قُرْبَةَ بِمُعْتَقَدٍ، فَأَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ لِأَدَاءِ فَرْضِهِ وَقَضَاءِ حَقِّهِ، ثُمَّ سَامَحَ فِي التِّجَارَةِ" (٢).

واعترض من قال بوجوب العمرة علىٰ هذه القراءة مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذِهِ قِرَاءَةٌ شَاذَّةٌ فَلَا تُعَارِضُ الْقِرَاءَةَ الْمُتَوَاتِرَةَ.

الثَّانِي: أَنَّ فِيهَا ضَعْفًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، لِأَنَّهَا تَقْتَضِي عَطْفَ الْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ عَلَىٰ الْفِعْلِيَّةِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿والعُمْرَةُ لِلَّهِ﴾ مَعْنَاهُ أَنَّ الْعُمْرَةَ عِبَادَةُ اللهِ، وَمُجَرَّدُ كَوْنِهَا عِبَادَةَ اللهِ لَا يُنَافِي وُجُوبَهَا، وَإِلَّا وَقَعَ التَّعَارُضُ بَيْنَ مَدْلُولِ الْقِرَاءَتَيْنِ، وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿والعُمْرَةُ لِلَّهِ﴾ مَعْنَاهُ: وَالْعُمْرَةُ عِبَادَةُ اللهِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْعُمْرَةُ مَأْمُورًا بِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾[الْبَيِّنَةِ: ٥] وَالْأَمْرُ لِلْوُجُوبِ، وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ(٣).

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٥٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٦٩.

(٣) مفاتيح الغيب ٥/ ٢٨٧.

فالْعُمْرَةُ فِي وُجُوبِهَا قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ، وَلَكِنَّ الْقَوْلَ بِعَدَمِ وُجُوبِهَا قَوْلُ الْأَكْثَرِين كَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ ، وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ مَنْقُولٌ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْعُمْرَةَ لَيْسَتْ وَاجِبَةً وَأَنَّ مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَعْتَمِرْ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ سَوَاءٌ تَرَكَ الْعُمْرَةَ عَامِدًا أَوْ نَاسِيًا؛ لِأَنَّ اللهَ إنَّمَا فَرَضَ فِي كِتَابِهِ حَجَّ الْبَيْتِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران: ٩٧]، وَلَفْظُ الْحَجِّ فِي الْقُرْآنِ لَا يَتَنَاوَلُ الْعُمْرَةَ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ إذَا أَرَادَ الْعُمْرَةَ ذَكَرَهَا مَعَ الْحَجِّ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [الْبَقَرَةِ ١٩٦]وَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[البقرة: ١٥٨]، فَلَمَّا أَمَرَ بِالْإِتْمَامِ أَمَرَ بِإِتْمَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ سَنَةَ سِتٍّ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ. وَآيَةُ آلِ عِمْرَانَ نَزَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ سَنَةَ تِسْعٍ أَوْ عَشْرٍ، وَفِيهَا فَرْضُ الْحَجِّ. وَلِهَذَا كَانَ أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ أَنَّ فَرْضَ الْحَجِّ كَانَ مُتَأَخِّرًا[(١)].

يقول الكاساني (ت: ٥٨٧ هـ): "وَأَمَّا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فَلَا دَلَالَةَ فِيهَا عَلَىٰ فَرْضِيَّةِ الْعُمْرَةِ؛ لِأَنَّهَا قُرِئَتْ بِرَفْعِ الْعُمْرَةِ (وَالْعُمْرَةُ لِلَّهِ) وَأَنَّهُ كَلَامٌ تَامٌّ بِنَفْسِهِ غَيْرُ مَعْطُوفٍ عَلَىٰ الْأَمْرِ بِالْحَجِّ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ رَدًّا لِزَعْمِ الْكَفَرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَجْعَلُونَ الْعُمْرَةَ لِلْأَصْنَامِ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ مِنْ الْإِشْرَاكِ، وَأَمَّا عَلَىٰ قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ فَلَا حُجَّةَ لَهُ فِيهَا أَيْضًا؛ لِأَنَّ فِيهَا أَمْرٌ بِإِتْمَامِ الْعُمْرَةِ، وَإِتْمَامُ الشَّيْءِ يَكُونُ بَعْدَ الشُّرُوعِ فِيهِ" (٢).

والقول الجملي أن فرضية الحج مجمع عليها؛ وأما فرضية العمرة ففيها خلاف[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٦/ ٧.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٢/ ٢٢٦.

(٣) زهرة التفاسير ٢/ ٦٠٢.

ثانيا: قال السهيلي: « وَذَكَرَ قَوْلَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ إنّ مُحَمّدًا أَبْتَرُ إذَا مَاتَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ قَوْلَهُ مِنْ سُورَةِ الْكَوْثَرِ عَلَىٰ قَوْلِ ابْنِ إسْحَاقَ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسّرِينَ.... ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الْكَوْثَر]

وَلَمْ يَقُلْ إنّ شَانِئَك أَبْتَرُ، يَتَضَمّنُ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا الْوَصْفِ؛ لِأَنّ هُوَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ تُعْطِي الِاخْتِصَاصَ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ إنّ زَيْدًا فَاسِقٌ، فَلَا يَكُونُ مَخْصُوصًا بِهَذَا الْوَصْفِ دُونَ غَيْرِهِ، فَإِذَا قُلْت: إنّ زَيْدًا هُوَ الْفَاسِقُ فَمَعْنَاهُ هُوَ الْفَاسِقُ الّذِي زَعَمَتْ فَدَلّ عَلَىٰ أَنّ بِالْحَضْرَةِ مَنْ يَزْعُمُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَهَكَذَا قَالَ الْجُرْجَانِيّ وَغَيْرُهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنّ(هُوَ) تُعْطِي الِاخْتِصَاصَ... فقَوْلُهُ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أَيْ لَا أَنْتَ، وَالْأَبْتَرُ الّذِي لَا عَقِبَ لَهُ يَتْبَعُهُ فَعَدَمُهُ كَالْبَتْرِ الّذِي هُوَ عَدَمُ الذّنْبِ، فَإِذَا مَا قُلْت هَذَا، وَنَظَرْت إلَىٰ الْعَاصِ، وَكَانَ ذَا وَلَدٍ وَعَقِبٍ، وَوَلَدُهُ عَمْرٌو وَهِشَامٌ ابْنَا الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، فَكَيْفَ يَثْبُتُ لَهُ الْبَتْرُ، وَانْقِطَاعُ الْوَلَدِ، وَهُوَ ذُو وَلَدٍ وَنَسْلٍ، وَنَفْيُهُ عَنْ نَبِيّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[الأحزاب: ٤٠] فَالْجَوَابُ: أَنّ الْعَاصِيَ- وَإِنْ كَانَ ذَا وَلَدٍ- فَقَدْ انْقَطَعَتْ الْعِصْمَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَلَيْسُوا بِأَتْبَاعٍ لَهُ، لِأَنّ الْإِسْلَامَ قَدْ حَجَزَهُمْ عَنْهُ، فَلَا يَرِثُهُمْ وَلَا يَرِثُونَهُ، وَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمّدٍ عليه السلام، وَأَزْوَاجُهُ أُمّهَاتُهُمْ، وَهُوَ أَبٌ لهم. كما قرأ: أبيُّ ابن كَعْبٍ: (وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَّهُمْ وَالنَّبِيّ أَوْلَىٰ بِهِمْ)[1]".

(١)الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٢٣. ونسبت هذه الزيادة إلىٰ أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وعكرمة وجعفر بن محمد (ينظر: المغني في القراءات لابن الدهان٣/ ١٤٨٥ و البحر المحيط ٨/ ٤٥٣ والتحرير والتنوير ٢١/ ٢٦٩).

وفي هذا النص أمور تتجلىٰ فيما يأتي:

أ-احتج السهيلي بالقراءة الشاذة لبيان مسألة فقهية هي: هل يطلق علىٰ النبي ﷺ أبٌ كما يطلق علىٰ نسائه ـ رضي الله عنهن ـ أمهات؟.

حيث اخْتَلَفَ النَّاسُ، هَلْ هُنَّ أُمَّهَاتُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، أَمْ هُنَّ أُمَّهَاتُ الرِّجَالِ خَاصَّةً، عَلَىٰ قَوْلَيْنِ: فَقِيلَ: ذَلِكَ عَامٌّ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَقِيلَ: هُوَ خَاصٌّ لِلرِّجَالِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِذَلِكَ إِنْزَالُهُنَّ مَنْزِلَةَ أُمَّهَاتِهِمْ فِي الْحُرْمَةِ، حَيْثُ يُتَوَقَّعُ الْحِلُّ، وَالْحِلُّ غَيْرُ مُتَوَقَّعٍ بَيْنَ النِّسَاءِ، فَلَا يُحْجَبُ بَيْنَهُنَّ بِحُرْمَةٍ.

ويؤيده ما رَواه الشَّعْبِيُّ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لَهَا: يَا أُمَّهْ، فَقَالَتْ لَهَا: لَسْتُ لَكِ بِأُمٍّ، إِنَّمَا أَنَا أُمُّ رِجَالِكُمْ(١).

وفي المستدرك للحاكم (٢/ ٤٥٠/ ٣٥٥٦): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، «أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ « النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

=ومَرَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ بِغُلَامٍ يَقْرَأُ فِي المُصْحَفِ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأَحْزَابُ: ٦١] وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ) . فَقَالَ: يَا غُلَامُ! حُكَّهَا. قَالَ: هَذَا مُصْحَفُ أُبَيٍّ. فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ يُلْهِينِي القُرْآنُ، وَيُلْهِيكَ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ (سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩٧).

وقَرَأَ عِكْرِمَةُ وَهُوَ أَبُوهُمْ، وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ، وَقِيلَ: إِنَّهَا قِرَاءَةُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ. (الحاوي الكبير ٩/ ١٨).

(١) ينظر: مسند أحمد (٤٢/ ٤٦٣/ ٢٥٧٠١) وتمامه: عَنْ عَمْرِو بْنِ غَالِبٍ قَالَ: جَاءَ عَمَّارٌ وَمَعَهُ الْأَشْتَرُ يَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ عَائِشَةَ قَالَ: يَا أُمَّهْ فَقَالَتْ لَسْتُ لَكَ بِأُمٍّ قَالَ بَلَىٰ وَإِنْ كَرِهْتِ قَالَتْ مَنْ هَذَا مَعَكَ قَالَ هَذَا الْأَشْتَرُ قَالَتْ أَنْتَ الَّذِي أَرَدْتَ قَتْلَ ابْنِ أُخْتِي قَالَ قَدْ أَرَدْتُ قَتْلَهُ وَأَرَادَ قَتْلِي قَالَتْ أَمَا لَوْ قَتَلْتَهُ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " لَا يحِلُّ دَمَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، إِلَّا إِحْدَىٰ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٌ قَتَلَ فَقُتِلَ، أَوْ رَجُلٌ

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ(ت٥٤٣ هـ): وَهُوَ الصَّحِيحُ[1]. قال القرطبي(ت٦٧١ هـ): لَا فَائِدَةَ فِي اخْتِصَاصِ الْحَصْرِ فِي الْإِبَاحَةِ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، تَعْظِيمًا لِحَقِّهِنَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

ـ يَدُلُّ عَلَيْهِ صَدْرُ الْآيَةِ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾[الأحزاب: ٦]، وَهَذَا يَشْمَلُ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ ضَرُورَةً.

ـ وَيَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَجَابِرٍ[2]، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾عَائِدًا إِلَىٰ الْجَمِيعِ.

ـ ثُمَّ إِنَّ فِي مُصْحَفِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ(وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ). وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ).

وَهَذَا كُلُّهُ يُوهِنُ مَا رَوَاهُ مَسْرُوقٌ إِنْ صَحَّ مِنْ جِهَةِ التَّرْجِيحِ، وَإِنْ لَمْ يَصِحَّ فَيَسْقُطُ الِاسْتِدْلَالُ بِهِ فِي التَّخْصِيصِ، وَبَقِينَا عَلَىٰ الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ الْعُمُومُ الَّذِي يَسْبِقُ إِلَىٰ الْفُهُومِ[1].

زَنَىٰ بَعْدَمَا أُحْصِنَ، أَوْ رَجُلٌ ارْتَدَّ بَعْدَ إِسْلَامِهِ ". قال الشيخ شعيب: حديث صحيح.

(١)أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٥٤٢.

(٢) عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا» (صحيح البخاري ٨/ ١٠٢/ ٦٤٨٣).

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي» (صحيح مسلم ٤/ ١٧٩٠/ ٢٢٨٥).

وقَالَ قَوْمٌ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ أَبًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وَلَكِنْ يُقَالُ: مِثْلُ الْأَبِ لِلْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ »[٢]. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ أَبٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، أَيْ فِي الْحُرْمَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[الأحزاب: ٤٠] أَيْ فِي النَّسَبِ.... قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ وَأَزْوَاجُهُ)....

وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِ لُوطٍ عليه السلام ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ [هود: ٧٨] [الحجر: ٧١]: إِنَّمَا أَرَادَ الْمُؤْمِنَاتِ، أَيْ تَزَوَّجُوهُنَّ[٣].

وَهَذِهِ الْأُبُوَّةُ أُبُوَّةٌ دِينِيَّةٌ، وَهُوَ عليه السلام أَرْأَفُ بِأُمَّتِهِ مِنَ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ بِأَوْلَادِهِ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا فِي رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وَلَيْسَتِ الْأُبُوَّةُ أُبُوَّةَ نَسَبٍ ؛ كَمَا بَيَّنَهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[الأحزاب: ٤٠]...، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ وَيَنْهَىٰ عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ، فَقَوْلُهُ عليه السلام فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ»، يُبَيِّنُ مَعْنَىٰ أُبُوَّتِهِ الْمَذْكُورَةِ، كَمَا لَا يَخْفَىٰ[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٢٣.

(٢) سنن أبي داود (١/ ٣/ ٨) وتمامه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ فَإِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ».

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٢٥.

(٤) أضواء البيان ٦/ ٢٣٢.

وَمَحْمَلُ هذه القراءة أَنَّهَا تَفْسِيرٌ وَإِيضَاحٌ، وَإِلَّا فَقَدْ أَفَادَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[الأحزاب: ٦] أَكْثَرَ مِنْ مفَاد هَذِه الْقُرَّاءة[(١)].

ب-وقد يستدل بهذه القراءة في تفسير قوله تعالىٰ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[هود: ٧٨]، فعن السُّدِّيِّ(ت١٢٨ هـ) في قوله ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قال: عرض عليهم نساء أمته كل نبي فهو أبو أمته، وفي قراءة عبد الله (النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم)[(٢)].

ج- كما ذكرها السهيلي في سياق حكم فقهي آخر، هو أن الأبناء المسلمين الذين كان آباؤهم كفارا لا يرثهم آباؤهم كفارا، ولا يرثون آباءهم، وقد أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَرِثُ الْمُسْلِمَ ، وَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَلَا يَرِثُ الْكَافِرَ أَيْضًا عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صلىٰ الله عليه وسلم، قَالَ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»[(٣)]، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَىٰ تَوْرِيثِ الْمُسْلِمِ مِنَ الْكَافِرِ، وَهُوَ مَذْهَبُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَمُعَاوِيَةَ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ وَمَسْرُوقٍ وَغَيْرِهِمْ، وَرُوِيَ أَيْضًا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَالشَّعْبِيِّ وَالزُّهْرِيِّ وَالنَّخَعِيِّ نَحْوُهُ عَلَىٰ خِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَالصَّحِيحُ عَنْ هَؤُلَاءِ كَقَوْلِ الْجُمْهُورِ وَاحْتَجُّوا بِما روي عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْإِسْلَامُ

(١) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٦٩.

(٢) تاريخ دمشق ٥٠/ ٣١٧.

(٣) صحيح البخاري (٨/ ١٥٦/ ٦٧٦٤) وصحيح مسلم (٣/ ١٢٣٣/ ١٦١٤).

يَعْلُو وَلَا يُعْلَىٰ»[١] وحجة الجمهور هنا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ الصَّرِيحُ، وَلَا حُجَّةَ فِي حَدِيثِ «الْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَىٰ»؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ فَضْلُ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ غَيْرِهِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ فِيهِ لِمِيرَاثٍ فَكَيْفَ يُتْرَكُ بِهِ نَصُّ حَدِيثِ: (لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ)، وَلَعَلَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ لَمْ يَبْلُغْهَا هَذَا الْحَدِيثُ[٢].

*** *** ***

(١) مسند الروياني (٢/ ٣٧/ ٧٨٣) وينظر: حديث رقم: ٢٧٧٨ في صحيح الجامع.

(٢) ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم (١١/ ٥٢) ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٢٠٢٢) وبداية المجتهد ونهاية المقتصد ٤/ ١٣٦.

المبحث الخامس
توظيف القراءات لغويا
في تصحيح الرواية في كتب السنة

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[فصلت]

أورد السهيلي مسألةً في توجيه قراءة البخاري(١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ) (آتيَا طَوْعًا أَوْكَرْهًا)، وذكر فيها قولين:

الأول: أنها وهْمٌ، قال: " وأما ما وقع في التفسير[١] من قوله (آتيَا طَوْعًا أَوْكَرْهًا) فقد ذُكر أن البخاري ـ رحمه الله ـ كان يَهِمُ في القرآن، وأنه أورد في كتابه آيا كثيرة علىٰ خلاف ما هي في التلاوة"[٢].

الثاني: أنها قراءة، ثم وجهها ونظَّر لها، فقال: " وَإِلَّا فَهِيَ قِرَاءَةٌ بَلَغَتْهُ، ووَجْهُها إن كانت قراءة: أن أَعْطِيَا الطَّاعَةَ، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ يُعْطِي الطَّاعَةَ لِفُلَانٍ ويعطي بيده، فكأن معناه: آتينا ما يراد منا "[٣].

ثم نظَّر لهذه القراءة الشاذة بالقراءات المتواترة، فقال: " وَقَدْ قُرِئَ ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا﴾[الأحزاب: ١٤] وآتوها، والفتنة خلاف الطاعة أو ضدها، وإذا جاز الإيتاء في هذه جاز في هذه "[٤].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير (٦/ ١٢٧).

(٢) أمالي السهيلي ص٦٤.

(٣) السابق.

(٤) نفسه.

أقول: ونحن لا نقبل القول الأول، إذ إن صحيح البخاري وجامعه في مكانة سامقة من الثقة عند المعتدلين من الأمة، ولم يترك فيه العلماء ملمحا للطعن أو النقص وذلك من خلال شروحهم ودراساتهم علىٰ الجامع الصحيح، ولعل الدافع إلىٰ من ذهب إلىٰ ذلك أن الإمام البخاري كان يذكر قراءات غير متواترة، فظن هذا الزاعم أن هذا خطأ في القرآن الكريم؛ ولذلك فإن الراجح لدينا في ضوء ما ذكره الإمام البخاري هو القول الثاني وذلك للأسباب الآتية:

أن البخاري ذكر دلالة القراءة نقلا عن ابن عباس، فقال: " وَقَالَ طَاوُسٌ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿...ءَاتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ...﴿١١﴾﴾ [فُصِّلَت]: أَعْطَيَا، ﴿...أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فُصِّلَت]: أَعْطَيْنَا "[1].

١- لَعَلَّ ابن عَبَّاسٍ(ت٦٨ هـ) ـ رضي الله عنهما ـ قَرَأَهَا (آتَيْنَا) بِالْمَدِّ فَفَسَّرَهَا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَقَدْ صَرَّحَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْقِرَاءَاتِ أَنَّهَا قِرَاءَتُهُ، وَبِهَا قَرَأَ صَاحِبَاهُ مُجَاهِدٌ(ت١٠٣ هـ) وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ (ت ٩٥ هـ)، قال ابن جني(ت٣٩٢ هـ): «قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد: « آتَيْنَا طَائِعِين»[2]، وقال ابن عطية(ت٥٤٢ هـ): « قرأ الجمهور: ﴿ءَاتَيْنَا﴾من أتىٰ يأتي ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾علىٰ وزن فعلنا،... وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد: «آتيا» من آتىٰ يؤتي «قالتا آتينا» علىٰ وزن أفعلنا»[3]، وقال ابن الدهان(ق٦ هـ): « سعيد ابن جبير (آتيا) بهمزة مفتوحة ممدودة، وحذف الياء، (قالتا

(١) صحيح البخاري(٦/ ١٢٧).

(٢) المحتسب ٢/ ٢٤٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٧.

آتينا) بهمزة مفتوحة ممدودة كالأوَّل، وهي قراءة ابن عباس، وافقهما مجاهد في الثانية»[1].

فقراءة العامَّة ﴿ ٱئْتِيَا ﴾أمر من الإِتْيان، ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾ منه أيضـًا، وأما القراءة الشاذة ففيها وجهان:

أحدُهما: أنه من المُؤَاتاة، وهي الموافَقَةُ أي: ليوافِقْ كلٌّ منكما الأخرىٰ لِما يليقُ بها، وإليه ذهب الزمخشري (ت٥٣٨ هـ) والرازي(ت٦٠٦ هـ) [2]، فوزنُ «آتِيا» فاعِلا كقاتِلا، و«آتَيْنا» وزنُه فاعَلْنا كقاتَلْنا.

والثاني: أنَّه من الإِيْتاء بمعنىٰ الإِعطاء، فوزنُ (آتِيا) أَفْعِلا كأَكْرِما، ووزن (آتَيْنا) أَفْعَلْنا كأَكْرَمْنا.

فعلىٰ الأول يكونُ قد حَذَفَ مفعولاً، وعلىٰ الثاني يكونُ قد حَذَفَ مفعولَيْن؛ إذ التقدير: أَعْطِيا الطاعةَ مِنْ أنفسكما مَنْ أَمَرَكما. قالتا: أَعْطَيْناه الطاعة [3]، وعليه اقتصر النحاس (ت٣٣٨ هـ)، قال: " وعن سعيد بن جبير أنه قرأ (آتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً) أي أعطيا الطاعة. وقرأ (قالَتا آتَيْنا طائِعِينَ)"[4].

قال أبو الفتح (ت٣٩٢ هـ): ينبغي أن يكون" آتينا "هنا فاعلنا، كقولك: سارعنا وسابقنا، ولا يكون أفعلنا؛ لأن ذلك متعد إلىٰ مفعولين، وفاعلنا متعد إلىٰ مفعول واحد، وحذف الواحد أسهل من حذف الاثنين؛ لأنه كلما قل الحذف كان أمثل من كثرته. نعم، ولما في سارعنا من معنىٰ

(١) المغني في القراءات ٤/ ١٦٢٢.

(٢) الكشاف ٤/ ١٨٩ ومفاتيح الغيب ٢٧/ ٥٤٨.

(٣) الدر المصون ٩/ ٥١١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦.

أسرعنا. ومثل" آتينا "في أنه فاعلنا لا أفعلنا القراءة الأخرىٰ: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، أي: سارعنا بها[(١)]، حيث" قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ (آتَيْنَا بِهَا) وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْإِتْيَانِ بِمَعْنَىٰ الْمُجَازَاةِ وَالْمُكَافَأَةِ لِأَنَّهُمْ أَتَوْهُ بِالْأَعْمَالِ وَأَتَاهُمْ بِالْجَزَاءِ "[(٢)].

٢- قَالَ عِيَاضٌ(٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) لَيْسَ آتَىٰ هُنَا بِمَعْنَىٰ أَعْطَىٰ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْإِتْيَانِ وَهُوَ الْمَجِيءُ بِمَعْنَىٰ الِانْفِعَالِ لِلْوُجُودِ بِدَلِيلِ الْآيَةِ نَفْسِهَا، وَبِهَذَا فَسَّرَهُ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ مَعْنَاهُ جِينَا بِمَا خَلَقْتُ فِيكُمَا وأظهراه، قَالَتَا أجبنا، وروىٰ ذَلِك عَن ابن عَبَّاسٍ، قَالَ: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ نَحْوَ مَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ، وَلَكِنَّهُ يَخْرُجُ عَلَىٰ تَقْرِيبِ الْمَعْنَىٰ أَنَّهُمَا لَمَّا أُمِرَتَا بِإِخْرَاجِ مَا فِيهِمَا مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنَهْرٍ وَنَبَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَأَجَابَتَا إِلَىٰ ذَلِكَ كَانَ كَالْإِعْطَاءِ فَعَبَّرَ بِالْإِعْطَاءِ عَنَ الْمَجِيءِ بِمَا أُودِعَتَاهُ.

قال ابن حجر (ت٨٥٢ هـ): فَإِذَا كَانَ مُوَجَّهًا، وَثَبَتَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ فَأَيُّ معنىٰ لإنكاره عَن ابن عَبَّاس، وَكَأَنَّهُ لما رأىٰ عَن ابن عَبَّاسٍ أَنَّهُ فَسَّرَهُ بِمَعْنَىٰ الْمَجِيءِ نَفَىٰ أَنْ يُثْبِتَ عَنْهُ أَنَّهُ فَسَّرَهُ بِالْمَعْنَىٰ الْآخَرِ، وَهَذَا عَجِيبٌ فَمَا الْمَانِعُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الشَّيْءِ قَوْلَانِ بَلْ أَكْثَرُ.... وَقَالَ ابن التِّين لَعَلَّ ابن عَبَّاسٍ قَرَأَهَا {آتَيْنَا} بِالْمَدِّ فَفَسَّرَهَا عَلَىٰ ذَلِكَ. قال ابن حجر (ت٨٥٢ هـ): وَقَدْ صَرَّحَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْقِرَاءَاتِ أَنَّهَا قِرَاءَتُهُ، وَبِهَا قَرَأَ صَاحِبَاهُ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ [(٣)].

(١) المحتسب ٢/ ٢٤٥.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ١٤٩.

(٣) فتح الباري ٨/ ٥٥٦.

وَالْإِتْيَانُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ائْتِيَا﴾ أَصْلُهُ: الْمَجِيءُ وَالْإِقْبَالُ وَلَمَّا كَانَ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيُّ غَيْرَ مُرَادٍ لِأَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَأْتِيَا، وَلَا يُتَصَوَّرَ مِنْهُمَا طَوَاعِيَةٌ أَوْ كَرَاهِيَةٌ؛ إِذْ لَيْسَتَا مِنْ أَهْلِ الْعُقُولِ وَالْإِدْرَاكَاتِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنَّ اللهَ يُكْرِهُهُمَا عَلَىٰ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي خُرُوجَهُمَا عَن قدرته بادئ ذِي بَدْءٍ تَعَيَّنَ الصَّرْفُ عَنِ الْمَعْنَىٰ الْحَقِيقِيِّ وَذَلِكَ بِأَحَدِ وَجْهَيْنِ لَهُمَا مِنَ الْبَلَاغَةِ الْمَكَانَةُ الْعُلْيَا:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الْإِتْيَانُ مُسْتَعَارًا لِقَبُولِ التَّكْوِينِ، كَمَا اسْتُعِيرَ لِلْعِصْيَانِ الْإِدْبَارُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ [النازعات: ٢٢]، وَكَمَا يُسْتَعَارُ النُّفُورُ وَالْفِرَارُ لِلْعِصْيَانِ، فَمَعْنَىٰ ﴿ائْتِيَا﴾ امْتَثِلَا أَمْرَ التَّكْوِينِ. وَهَذَا الِامْتِثَالُ مُسْتَعَارٌ لِلْقَبُولِ وَهُوَ مِنْ بِنَاءِ الْمَجَازِ عَلَىٰ الْمَجَازِ وَلَهُ مَكَانَةٌ فِي الْبَلَاغَةِ، وَالْقَوْلُ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ مُسْتَعَارٌ لِتَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ بِالْمَقْدُورِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ الْبُدِّ مِنْ قَبُولِ الْأَمْرِ وَهُوَ تَمْثِيلٌ لِتَمَكُّنِ الْقُدْرَةِ مِنْ إِيجَادِهِمَا عَلَىٰ وَفْقِ إِرَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ فَكَلِمَةُ ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ جَارِيَةٌ مَجْرَىٰ الْأَمْثَالِ، و﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ مَصْدَرَانِ وَقَعَا حَالَيْنِ مِنْ ضَمِيرِ ائْتِيا أَيْ طَائِعَيْنِ أَوْ كَارِهَيْنِ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ مُسْتَعْمَلَةً تَمْثِيلًا لِهَيْئَةِ تَعَلُّقِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ لِتَكْوِينِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِعَظَمَةِ خلقهما بِهَيْئَةِ صُدُورِ الْأَمْرِ مِنْ آمِرٍ مُطَاعٍ لِلْعَبْدِ الْمَأْذُونِ بِالْحُضُورِ لِعَمَلٍ شَاقٍّ أَنْ يَقُولَ لَهُ: ائْتِ لِهَذَا الْعَمَلِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، لِتَوَقُّعِ إِبَائِهِ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَىٰ ذَلِكَ الْعَمَلِ، وَهَذَا مِنْ دُونِ مُرَاعَاةِ مُشَابَهَةِ أَجْزَاءِ الْهَيْئَةِ الْمُرَكَّبَةِ الْمُشَبَّهَةِ لِأَجْزَاءِ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا، فَلَا قَوْلَ وَلَا مَقُولَ، وَإِنَّمَا هُوَ تَمْثِيلٌ،

وَيَكُونُ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا عَلَىٰ هَذَا مِنْ تَمام الْهَيْئَة الْمُشبه بهَا وَلَيْسَ لَهُ مُقَابل فِي الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهَةِ. وَالْمَقْصُودُ عَلَىٰ كِلَا الِاعْتِبَارَيْنِ تَصْوِيرُ عَظَمَةِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَنُفُوذِهَا فِي الْمَقْدُورَاتِ دَقَّتْ أَوْ جَلَّتْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مُسْتَعَارًا لِدَلَالَةِ سُرْعَةِ تَكَوُّنِهِمَا لِشِبْهِهِمَا بِسُرْعَةِ امْتِثَالِ الْمَأْمُورِ الْمُطِيعِ عَنْ طَوَاعِيَةٍ فَإِنَّهُ لَا يَتَرَدَّدُ وَلَا يَتَلَكَّأُ عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْمَكْنِيَّةِ وَالتَّخْيِيلِ مِنْ بَابِ قَوْلِ الرَّاجِزِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ تَعْيِينُهُ: امْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي وَهُوَ كَثِيرٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَمْثِيلًا لِهَيْئَةِ تَكَوُّنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عِنْدَ تَعَلُّقِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِتَكْوِينِهِمَا بِهَيْئَةِ الْمَأْمُورِ بِعَمَل تقبله سَرِيعا عَنْ طَوَاعِيَةٍ. وَهُمَا اعْتِبَارَانِ مُتَقَارِبَانِ، إِلَّا أَنَّ الْقَوْلَ، وَالْإِتْيَانَ، وَالطَّوْعَ، عَلَىٰ الِاعْتِبَارِ الْأَوَّلِ تَكُونُ مَجَازَاتٍ، وَعَلَىٰ الِاعْتِبَارِ الثَّانِي تَكُونُ حَقَائِقَ وَإِنَّمَا الْمَجَازُ فِي التَّرْكِيبِ عَلَىٰ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَجَازِ الْمُفْرَدِ وَالْمَجَازِ الْمُرَكَّبِ فِي فَنِّ الْبَيَانِ(١).

قال الزمخشري(ت٥٣٨ هـ): " المعنىٰ. ائتيا علىٰ ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف: ائتي يا أرض مدحوّة قرارا ومهادا لأهلك، وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم. ومعنىٰ الإتيان: الحصول والوقوع، كما تقول: أتىٰ عمله مرضيا، وجاء مقبولا. ويجوز أن يكون المعنىٰ: لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير: من كون الأرض قرارا للسماء، وكون السماء سقفا للأرض. وتنصره قراءة من قرأ: (آتيا)، و(آتينا): من المؤاتاة وهي الموافقة: أي: لتوات كل واحدة أختها ولتوافقها. قالتا، وافقنا وساعدنا. ويحتمل وافقا أمري ومشيئتي ولا

(١) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٤٦.

تمتنعا"[1]، أو" مِنْ آتَىٰ يُؤْتِي، وَذَلِكَ بِمَعْنَىٰ أَعْطِيَا مِنْ أَنْفُسِكُمَا مِنَ الطَّاعَةِ مَا أَرَدْتُهُ مِنْكُمَا، وَالْإِشَارَةُ بِهَذَا كُلِّهِ إِلَىٰ تَسْخِيرِهَا وَمَا قَدَّرَهُ اللهُ مِنْ أَعْمَالِهَا"[2].

٣- ورود النظير لهذا التنوع القرائي في القراءات المتواترة، ففي قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا﴾ [الأحزاب: ١٤] قَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ كَثِيرٍ ﴿لَأَتَوْهَا﴾ بِغَيْرِ مَدٍّ، وَاخْتُلِفَ عَنِ ابْنِ ذَكْوَانَ، فَرَوَىٰ عَنْهُ الصُّورِيُّ كَذَلِكَ، وَهِيَ رِوَايَةُ التَّغْلِبِيِّ عَنْهُ، وَطَرِيقُ سَلَامَةَ بْنِ هَارُونَ، وَغَيْرِهِ عَنِ الْأَخْفَشِ، وَرَوَىٰ الْأَخْفَشُ مِنْ طَرِيقَيْهِ عَنْهُ بِالْمَدِّ، وَكَذَلِكَ قَرَأَ الْبَاقُونَ[3].

أمّا من قصر فلأنّك تقول: أتيت الشيء: إذا فعلته. تقول: أتيت الخير، وتركت الشر، أي: فعلت الخير، ومعنىٰ: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾: سئلوا فعل الفتنة﴿لَأَتَوْهَا﴾، أي: لفعلوها. ومن قرأ: ﴿لآتوها﴾ بالمدّ فالمعنىٰ: ثم سئلوا فعل الفتنة لأعطوها، أي: لم يمتنعوا منها[4].

قال ابن خالويه(ت٣٧٠ هـ): « قوله تعالىٰ: ﴿لَأَتَوْهَا﴾ يقرأ بالمدّ من الإعطاء وبالقصر من المجيء» [5].

ومفعولُه الثاني ـ في قراءة المد ـ محذوفٌ تقديره: لآتَوْها السَّائلين. والمعنىٰ: ولو دَخَلْتَ البيوتَ أو المدينة مِنْ جميع نواحيها، ثم سُئِل أهلُها الفتنةَ لم يمتنعوا من إعطائِها، وقراءةُ المَدِّ تَسْتَلْزِمُ قراءةَ القصرِ من غيرِ

(١) الكشاف ٤/ ١٨٩.

(٢) البحر المحيط ٩/ ٢٩٠.

(٣) النشر في القراءات العشر٢/ ٣٤٨.

(٤) الحجة للقراء السبعة ١/ ٣٩.

(٥) الحجة لابن خالويه ص٢٨٩.

عكسٍ بهذا المعنىٰ الخاص[١]، وإِطْلَاقُ فِعْلِ (آتَوْهَا) مُشَاكَلَةٌ لفعل ﴿سُئِلُوا﴾ [٢]، فالإعطاء مَعَ السُّؤَال حسن، أَي لَو قيل لَهُم كونُوا علىٰ الْمُسلمين مَعَ الْمُشْركين لفعلوا ذَلِك [٣].

وجمع البقاعي(ت٨٨٥ هـ) بين القراءتين في ضوء السياق، فقال: " {ولو دخلت} أي بيوتهم من أيّ داخل كان من هؤلاء الأحزاب أو غيرهم، وأنث الفعل نصًا علىٰ المراد وإشارة إلىٰ أن ما ينسب إليهم جدير بالضعف، وعبر بأداة الاستعلاء فقال: {عليهم} إشارة إلىٰ أنه دخول غلبة {من أقطارها} أي جوانبها كلها بحيث لا يكون لهم مكان للهرب. ولما كان قصد الفرار مع الإحاطة بالدار، من جميع الأقطار، دون الاستقتال للدفع عن الأهل والمال، بعيداً عن أفعال الرجال؛ عبر بأداة التراخي فقال: {ثم سئلوا} أي من أيّ سائل كان {الفتنة} أي الخروج منها فارّين، وكأنه سماه بها لأنه لما كان أشد الفتنة من حيث أنه لا يخرج الإنسان من بيته إلا الموت أو ما يقاربه كان كأنه لا فتنة سواه {لأتوها} أي الفتنة بالخروج فراراً، إجابة لسؤال من سألهم مع غلبة الظن بالدخول علىٰ صفة الإحاطة أن لا نجاة، فهم أبداً يعولون علىٰ الفرار من غير قتال حماية لذمار أو دفعًا لعار، أو ذبًا عن أهل أو جار، وهذا المعنىٰ ينتظم قراءة أهل الحجاز بالقصر وغيرهم بالمد، فإن من أجاب إلىٰ الفرار فقد أعطىٰ ما كأنه كان في يده منه غلبة وجبنًا وقد جاءه وفعله "[٤].

---

(١) الدر المصون ٩/ ١٠٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٨٨.

(٣) حجة القراءات ص٥٧٥.

(٤) نظم الدرر ١٥/ ٣٠٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ من ختمت به الرسالات، وبعد:

١. فختاما لهذه الحلقة الأولىٰ مع العلامة عبد الرحمن السهيلي وتوظيفه القراءات القرآنية لغويا لبيان المعنىٰ التفسيري والعقدي والشرعي يمكن للبحث أن يضع بين أيديكم أهم النتائج التي توصل إليها.

٢. كان السهيلي ذا منهج متميز في التعامل مع القراءات القرآنية، متأملا لبدائع الاستعمالات اللغوية، كما رأينا في تناوله لمصطلح" الإسراء ".

٣. لا يقول السهيلي بترادف الصيغ الصرفية كما في (سر وأسرىٰ)، ويعتمد تنوع القراءات واتفاقها في النظير المختلف فيه معيارا لهذا الرأي.

٤. وَضَحَ موقف السهيلي من القراءات القرآنية، حيث قبلها ولم يؤثر عنه رد إحدىٰ القراءات المتواترة أو الشاذة أو توقف فيها.

٥. تنوعت المادة القرائية في مصنفات السهيلي، حيث تضمنت القراءات المتواترة والشاذة، وورد فيها العديد من الأعلام البارزين في القراءات من الصحابة والتابعين كابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد والأعمش والشعبي وغيرهم - ﷺ أجمعين -

٦. وظّفَ السهيلي القراءات لغويا علىٰ جميع مستوياتها لتعضيد وتأكيد صحة آرائه، كما رأينا في قوله تعالىٰ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾

[قريش: ١]، حيث اعتمد قراءة ابن عامر لتصحيح المعنىٰ التفسيري المنقول عن العلامة الهروي.

٧. وظّف السهيلي قراءات الصحابة كدليل وشاهد للمعنىٰ التفسيري، كما في قوله تعالىٰ ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾[الْكَهْف: ٢٥] وقوله تعالىٰ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

٨. وهو بذلك يرىٰ أن القراءات من الأدوات والروافد المهمة عند المفسر.

٩. وظّف السهيلي القراءات في استنباط بعض الأحكام الفقهية، كما رأينا في قول الله تعالىٰ ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾[الأحزاب: ٦] حيث استنبط من القراءة الشاذة أن الأبناء المسلمين الذين كان آباؤهم كفارا لا يرثهم آباؤهم كفارا، وكما في مسألة العمرة واختلاف الفقهاء بين الوجوب والاستحباب وكيف وظّف الفقهاء القراءات الواردة في قوله تعالىٰ ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾[البقرة: ١٩٦]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

*** *** ***

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة (ت: ٦٦٥ هـ)، تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر (د. ت).

٢. أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي: د. محمد إبراهيم البنا، دار البيان العربي، جدة، ط١، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٤. إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨ هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨م.

٥. أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي (٥٨١ هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة (د. ت).

٦. إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.

٧. بداية المجتهد ونهاية المقتصد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥ هـ)، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٨. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: ٥٨٧ هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٩. بدائع الفوائد: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٣٣ هـ.

١٠. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ (ت: ٨١٧ هـ)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي (أبي الفيض السيد محمد بن محمد عبد الرازق مرتضي ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي هلالي، ط حكومة الكويت ١٩٦٦م.

١٢. تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

١٣. التحرير والتنوير= «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤م.

١٤. التسهيل لعلوم التنزيل: للعلامة المفسر أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي (ت: ٧٤١ هـ)، تحقيق: علي بن حمد الصالحي، دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع – مكة المكرمة، الطبعة الأولىٰ - ١٤٣٩ هـ-٢٠١٨م.

١٥. تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود،

والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٦. تقريب النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣ هـ)، دراسة وتحقيق: د. عادل إبراهيم محمد رفاعي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٣ هـ.

١٧. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٧١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٨. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.

١٩. حجة القراءات: للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٢٠. الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٢٧٠ هـ)، تحقيق / أحمد فريد المزيدي، قدم له د/ فتحي حجازي، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي. ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٢١. الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد: تصنيف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت: ٣٧٧ هـ)، حققه بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني،

راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث.

٢٢. الخصائص: صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢ هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

٢٣. الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون: للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) تحقيق وتعليق الشيخ / علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د/ جاد مخلوف جاد، د/ زكريا عبد المجيد النوتي، قدم له وقرظه د/ أحمد محمد صبره، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. الطبعة الأولي ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٢٤. الدرة الفريدة في شرح القصيدة: لابن النجيبين الهمذاني (ت٦٤٣ هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. جمال محمد طلبة السيد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١٢م.

٢٥. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١ هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٦. شرح الجعبري علىٰ متن الشاطبية المسمىٰ كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، تحقيق / فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ ط ١ سنة ٢٠١١ م.

٢٧. شواذ القرآن واختلاف المصاحف: شمس الدين الكرماني محمد بن أبي نصر بن عبد الله(ت بعد ٥٦٠ هـ)، تحقيق: أ. د/ الموافي الرفاعي البيلي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥م.

٢٨. الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت٨٨٥ هـ)، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.
٢٩. طبقات الشافعية الكبرىٰ: لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي(٧٢٧ ـ ٧٧١ هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢م.
٣٠. علوم القرآن عند الإمام السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ) من خلال كتابه" الروض الأنف ": عبد العزيز ابن مالك (د. ت).
٣١. غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣ هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١ هـ ج. برجستراسر.
٣٢. غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن: عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: د. هيثم عياش، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٩٨٨م.
٣٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ)، تح / عبد الرازق المهدي، دار الإحياء التراث، بيروت.
٣٤. لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري(ت ٧١١هـ)، دار صادر ـ بيروت، الطبعة السادسة ٢٠٠٨م.
٣٥. مجموع الفتاوىٰ: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م.

٣٦. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢ هـ): تحقيق / علي النجدي ناصف، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٣٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت ٥٤٦ هـ) تح / عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٣٨. معاني القرآن: لأبي زكرياء يحيي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة: أ/ علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ م.

٣٩. معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي أسحق إبراهيم بن السِّري (ت ٣١١ هـ) شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

٤٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

٤١. المغني في القراءات: لمحمد بن أبي نصر بن أحمد الدهان النوزاوازي (ق ٦ هـ)، تحقيق: د. محمود بن كابر بن عيسىٰ الشنقيطي، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، سلسلة الرسائل العلمية ٤٩، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٨م.

٤٢. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي ١٤٢١ هـ.

٤٣. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ - ١٤١٢ هـ.
٤٤. مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تح: الشيخ عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٤٥. نتائج الفكر في النَّحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٢ - ١٩٩٢ م.
٤٦. النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣ هـ)، دراسة وتحقيق: د. السالم محمد محمود الشنقيطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٥ هـ.
٤٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د. ت).
٤٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت: ٦٨١ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ١٩٩٤م.

*** *** *** ***

ثبت الموضوعات

المحتوى	الصفحة
ملخص البحث	٣٨١
المقـــــدمة :	٣٨٣
المبحث الأول: الدلالة اللغوية وأثرها في التنوع القرائي واتفاقه.	٣٨٩
المبحث الثاني: توظيف القراءات لغويا وأثره في الدلالة التفسيرية	٤٠٢
أولا: توظيف تنوع القراءات لغويا لتنوع المعنىٰ.	٤٠٢
ثانيا: توظيف القراءات لغويا في ترجيح أحد الأقوال.	٤١٠
ثالثا: توظيف القراءات لغويا لفض النزاع بين المفسرين.	٤١٦
رابعا: التنوع القرائي في الأسماء الأعجمية.	٤٣٤
خامسا: توظيف القراءات لغويا في تصحيح المعنىٰ.	٤٤٢
المبحث الثالث: توظيف القراءات لغويا في مسائل العقيدة.	٤٥٦
المبحث الرابع: توظيف القراءات لغويا في الأحكام الفقهية	٤٥٩
أولا: العمرة بين الوجوب والاستحباب.	٤٥٩
ثانيا: هل يطلق علىٰ النبي ﷺ أبٌ كما يطلق علىٰ نسائه - رضوان الله عليهن - أمهات؟	٤٦٢
المبحث الخامس: توظيف القراءات لغويا في تصحيح الرواية في كتب السنة.	٤٦٨
الخاتمة:	٤٧٦
ثبت بأهم المصادر والمراجع.	٤٨٠
ثبت الموضوعات.	٤٨٥